المشرق

البُطاحي والبعوض (١

نبذة للدكتور الياس الحاج احد التلامذة المتخرّجين في مكتبنا الطبي

البُطاحيّ او داء البطائح مرضٌ وباليّ يصيب غالبًا الذين يسكنون قريبًا من مستنقعات المياه ووطاء الاراضي والبطائح الغائرة. وهو داء قديمٌ ورد ذكرهُ في القسم الثالث من كتاب الاوبئة لبقراط فيصفهُ هذا الطبيب الرئيس كعدوى شائعة في ايّامهِ

(انتشارهُ) وممّا لا يُنكر انَّ البُطاحيّ داء يشمل اكثر بلاد المعمور قلّما تجد بلدًا لم ينلهُ أذاهُ وان تعدّدت اسماؤهُ على اختلاف مواطنهِ فيدعوهُ البعض حمّى المستنقعات والبعض داء البطائح ويُعرف في بعض البلاد بالملاريا وفي غيرها بالآفة الوبائية. ومدلولها كلها على مرضٍ واحد

وهذا الداء لم تنجُ منهُ بلادنا الشاميّة بل تراهُ يفتك في انحائها الشتّى لا يغلبهُ في كثرة مضارّهِ وسوء عقباهُ غير التدرُّن الفاشي في مدننا الكبرى. بيد انَّ انتشار هذا الداء في الغور وسهول الشام اكثر منهُ في سواها فارض البقاع مثلًا قد تزل فيها هذا الضيف المشؤوم فلم يدع منها قريةً سليمةً كذلك بطحاء عميق فان المستنقعات التي فيها مركزٌ للوباء تنتشر جراثيمها المعدية بين اهل تلك الاصقاع (٢

وان توقلتَ مشارف لبنان ترى البُطاحيّ ضاربًا اطنابهُ في قرى يبلغ ارتفاعها

---

١) قد فسَّر حضرة الاب المدقّق الفاضل انستاس الكرمليّ معنى هذه الكلمة في المشرق (٢: ٢٠٩) ورأى انها توافق المرض المعروف بالتيفوس او الحمّى التيفوئيديّة. ولعلّها ادلّ على الامراض الوبائية الناجمة عن وخم المستنقعات التي يدعوها الفرنج (impaludisme) وقد اطلقناها هنا على هذا المعنى الخاص

٢) وقد سمعنا انَّ اصحاب هذا المُلك من وجهاء الرساقة يسعون الآن في تجفيفهِ

نحو الف متر كجزّين وعين تراز وشحتول . وليس اسم « زوق الخراب » سوى اشارة الى فتكاته الذريعة بين اهل تلك القرية واذا توسّمتهم لاحت لك على وجوههم من علامات السّهام والهزال ما دلّك على ثقل وطأة الداء بينهم

ولا تخلو من البُطاحيّ مدننا الساحلية . فان جونية مثلاً قد عشّش فيها الداء واذاق اهلها مرّ نكاله . وان اعتبرت بيروت وجدتّ ضواحيها موبوءةً بهذا المرض الذي رسخ قدمهُ من البوشريّة الى نهر بيروت . وترى قريتي الحدث والشيّاح خاضعتين لحكمه . بيد ان بجوار بيروت محلاً آخر يحبُّ الاهلون التردُّد اليه ويقضون فيه آونة البسط والراحة ولو نظروا اليه بعين التبصرة لوجدوهُ أوبل مكان واصلحهُ للبُطاحيّ نريد الضبيّة وشواطئ نهر الكلب فان الاصابات الوبائيّة فيها عديدة . والكلّ يعلمون انّ في الصيف الماضي ذهب كثيرون من اهل بيروت ضحايا جهلهم لمّا احبّوا السُّكنى في تلك الارباض فما مرَّ عليهم زمن قليل حتى صرعهم الداء واتلف حياتهم

(أسباب داء البطاحيّ) لهذا الداء اسباب عموميّة لا ارى حاجةً الى ذكرها هنا فاضرب عنها صفحاً

وما هو مقرَّر لدى الجميع انَّ بين البُطاحيّ والسهول الغائرة والاراضي الوطيئة علاقةً لا تُنكر . وليس وجود المستنقعات امرًا لازبًا لانتشار الداء وانما يكفي الحلول في ارض رطبة نديّة لا تجري فيها المياهُ جريًا منتظمًا حتى ترى ثمَّت آثار الداء لانَّ الجراثيم في مثل هذه الامكنة راتعةٌ منعَّمةً مرفهةً لا تنتظر الّا فرصةً مناسبةً لتحمل بجناحها ورجلها على العدوّ فتذيقهُ العلقم

وكان كثير من العلماء ينسبون العدوى لفساد الهواء اذ يتنسَّم الانسان جراثيمهُ الوخيمة التي تدخل في رئته وتنتشر من ثمَّ في دمهِ . وزعم غيرهم ان انتقال العدوى يكون بالماء يشربهُ الشارب فيُبلى بنقاعيَّاته الموبوءة

واليوم قد اتّضح لارباب العلم جليًّا انَّ ناقل جراثيم الداء انّما هي هامّة بغيضة لا تكتفي بان تلسعنا ببضعها حتى تنفث في دمنا هذا السمّ الناقع . وما هذه الهامّة سوى البعوض (البرغش)

ومما يُذكر فيُشكر انَّ احد اهل بلادنا الدكتور عبد الله جبُّور من اوَّل الذين سبقوا فعرفوا علّة الداء وكيفيَّة انتقالهِ الى الانسان . وقد رأينا في احد اعداد مجلّة

« الطبيعة » الفرنسوية شاهدًا على هذا الامر الناطق بفضل اهل الوطن وهو كتاب ارسلهُ الدكتور الموما اليهِ الى المقتطف سنة ١٨٨٤ هذه صورتهُ :

لقد شاهدتُ امتداد الحمَّى الملاريَّة في راشيا مرَّتين في خريف سنة ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلمتُ انَّ من الاسباب الكبرى التي تحمل سمَّ هذه الحمَّى من نبات المستنقعات هو البعوض المعروف بابي فاس. فالشخص الذي تمكَّن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمَّى الملاريَّة ومن وقى نفسهُ من لسعهِ علم من هذا الداء. وهذا الامر لا ينكرهُ عاقل في قضاء راشيا. فمن اراد ان يقي نفسهُ من هذا الداء فليصنع لسريرهِ كلَّةً تمنع دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات »

هذا ما كتبهُ احد مواطنينا قبل ١٦ سنة وقد اثبت آخرًا العالمُ الراهن صحَّة قولهِ فبيَّن ما للبعوض في نقل عدوى البطاحيّ من سوء العمل. ودونك ملخَّص ما توصَّل العلماء في يومنا فاكتشفوهُ بعد الاختبارات المتواترة

كان الاقدمون منذ عهد عهيد يزعمون بانَّ مسبّب حُمَّى المستنقعات جراثيمُ حيَّة تدخل في جسم الانسان فتفسدهُ وهو رأي بعض مشاهير الرومان الذين كتبوا بعد تاريخ الميلاد بقليل كفيتروف وڤارون وكولومال الَّا انهم لم يمكنهم ان يعللوا رأيهم بحجج مقنعة فبقي قولهم حدسًا وتخمينًا

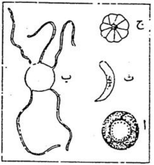
وظن المحدثون انهم وجدوا العدوَّ لمَّا أرتهم النظَّارات المكبرة ما في مياه المستنقعات من الحُيَيْوينات والنقاعيَّات التي لا يعرف عددَها الَّا الله. ومنهم من كان يزعم انَّ هذه الدويّبات تنشأُ من طحلب الماء فتنبثُّ في الهواء وتدخل بالتنفُّس في الرئة ومنها تمتزج بالدم. بيد انَّ هذه الآراء كلها كانت بلا سند حتى قام سنة ١٨٨٠ المسيو لڤران (Laveran) وبيَّن بادلَّة لامعة انَّ علَّة البطاحي انما هي جراثيم آليَّة من الصنف المعروف عند العلماء باسم بروتوزوار (protozoaires) من فصيلة الهيماتوزوار (hématozoaires) وهي غاية في الصغر لا يتجاوز احدها ٢٨/١٠٠٠ من المِلّمتر مختلفة جدًّا بحركاتها

ولهذه الفصيلة اربعة اصناف ذات صور شتى فمنها ما هو كرويّ الشكل (les corps sphériques) تراهُ كالزجاج الشفَّاف لا لون لهُ يسبح في مصل الدم او يمتزج في كريَّاتهِ الحمراء. ومنها ما هو خيطيّ الشكل فدعوهُ لذلك سوطًا (flagella) وربما تعدَّدت هذه السياط وارتبطت بالجراثيم الكرويَّة السابق ذكرها وبها يمتاز جرثوم البطاحيّ. وقد ارتأى الدكتور كوخ انَّ هذه الآليات هي الذكور تلتقح

بها الاناث. وبعضها هلاليُّ الشكل في وسطها نكتة سوداء. وبعضها اخيرًا ورديُّ الهيئة يتقسَّم الى اقسام كرويَّة كشبكة مستديرة

وهذه الجراثيم مع اختلاف صورها تجري في سوء عملها جريًا واحدًا. فانها اوَّل ما تظهر في كريَّات الدم الحمراء تكون كتجويفات دقيقة ثمَّ تنقطع فتصبح كالسياط ونموُّها هذا لا يتمُّ الَّا بافتقار دم المصاب بها. وقد تحقَّق الدكتور لفران انَّ هذه الجراثيم موجودة في دم كل المبتلين بالحمَّى الملاريَّة لا تراها في سواهم وانها اذا توارت لسبب من الاسباب تماثل صاحبها الى الصحَّة

وهنا يوقفنا القارئ فيقول: عرفنا علَّة البطاحي ولكن هل يتولَّد هذا الجرثوم في جسم الانسان او يسري اليهِ من الخارج ومن هو ناقل هذا الضيف الثقيل



نجيب انَّ جرثوم الحمَّى الملاريَّة موجود مباشرةً في المستنقعات والامكنة الرطبة والبطائح المنخفضة الَّا انهُ لا يصيب المرء باذًى اذا استنشق الانسان هواء تلك المستنقعات ما لم يتوسط بين دم الانسان وتلك الميكروبات الوبيئة وسيط مشؤوم. وما هذا الوسيط الَّا البعوض فانهُ كما سبق القول هو ناقل ا الجراثيم الكرويّة ب ″ السوطية ث ″ الهلالية ج الورديّة العدوى الى جسم الانسان الصحيح. والجرثوم ينشأُ فيهِ اما من امتصاصهِ ايَّاهُ من المستنقعات توًّا ومعلوم ان البعوض يجعل بيضهُ في الماء وفيهِ ينمو ويتحوَّل الى شبه عُصيَّات صغيرة ثمَّ تنشأ لهُ اجنحةٌ فيطير. واماَّ بان يرشف البعوض دمَ رجلٍ أُصيب بالبطاحي فيبتلع معهُ اصل المرض ويحطُّ على جسم سليم فينفث فيهِ جرثومة الداء

وان شئتَ ان تتبَّع البعوض لترى باي طريقة يُنفذ فينا هذا السمَّ القتَّال اشرتُ اليك ان تقرّب اليهِ يدك اليُسرى ليمتصَّ دمها بينما تأْخذ نظَّارةً بيدك اليمنى وتراقب حركاتهِ وهو ينتجع مرعاهُ الخصيب ويشرب دمك من مجاريهِ فان اصابك بعض الالم فاصبر عليهِ أُجرةً لما تستفيدهُ من رصد حركاتهِ

فأوّل ما يفعل البعوض اذا حط على جلدك ان يُخرج من خرطومهِ ابرةً غاية في الدقة يجسُّ بها اربعة او خمسة أمكنة من سواهُ ليتعرَّف أيها أليق بغايتهِ واسهل لضربة حسامهِ فلا يلبث ان يفضّل بينها موضعاً فيزلهُ بمبضعهِ كاحذق الجرّاحين

واذا صبرت على هذا الالم الخفيف رأيت ابرة البعوض تتقوس وتنشب في اللحم الى ان يكاد رأس الهامّة يمس الجلد . ثم ينفث الحيوان من لعابهِ نقطة صغيرة فيجريها الى الجرح ليمنع تجمُّد الدم ويتمكن من امتصاصهِ هنيئاً مريئاً . وهذا اللعاب من نفس تركيبهِ هو سمٌّ مؤذٍ فاذا اتصل بالدم شعر الانسان بحكَّة والتهاب في مكان لسع البعوض

ولكن هذه النفثة السامّة ربما كان فيها ايضاً جرثومة الحمَّى الملاريَّة فتمتزج بالدم فيصبح الشرُّ شرَّين شرٌّ خفيف وهو الوجع الناجم عن لسع البعوضة وشرٌّ اعظم وهو التسمُّم بسمّ البطاحي . واذا دخل العدوّ في دم الانسان حدث عن نكباتهِ ولا حرج . فان جرثوم الداء يجري الى العروق ويتكاثر فيها ولا يلبث المصاب ان يشعر بنوبات الحمَّى

بيد انهُ ليست كلّ ضروب البعوض ناقلةً لباشلُّس حُمَّى المستنقعات وانما البعض منها فقط يأتي بهذه السيئة . وان سألتَ وهل يوجد سبيل الى معرفة الجاني . قلتُ نعم وقد سبق الدكتور جبُود وذكر انَّ اسم الصنف المؤذي يعرف عند العامَّة بابي فاس . امَّا بلسان العلم فيُسمَّى انوفالس (anopheles) الَّا انَّ وصف خواصهِ يؤدّي بنا الى الاطالة فنكتفي بذكر خاصتين يسهل على القارئ ان يميز بهما ناقل العدوى من غيره : الاولى ان النواميس المُعدية لا يُسمع لها طنين كاخواتها المعروفة فلا بأس منها اذن . والثانية انَّ البعوضة المألوفة اذا حطَّت على حائط او غير ذلك كان جسمها على شكل عمودي بالنسبة الى الحائط بخلاف المُعدية فانَّ جسمها يكون على خطٍّ موازٍ للحائط . وممَّا ثبت ايضاً ان الصنف الوبائي من البعوض لا يلسع كلُّهُ بل اناثهُ فقط دون الذكور . ولعلَّ الاناث تحتاج الى الدم البشري لتفقس بيضها الذي لا يقل كل مرَّة عن ٢٠٠ بيضة تجعلها البعوضة على وجه الماء . ولولا عناية الله الذي يسلّط عليها الوفا من الاعداء كالطيور والاسماك لَنما عددها بالتوالد بعد ايَّام قليلة نموًّا غريباً فاصبحت كذرَّات الهواء

(الطرائق لاتقاء الوباء) بقي علينا بعد وصف العدوّ الجاني وكيفيَّة انتقال

جراثيم الداء الينا ان نبيّن الوسائط لاتقاء العدوى. وليس لذلك طريقة اولى من معاكسة هذا العدوّ وابطال مساعيهِ وذلك باتخاذ الذرائع الواقية من البعوض. والبعوض يمكن التصدّي لهُ امّا بان يُمنع نقفهُ وذلك بان تُزال الاحواض المجاورة للبيوت وتجفَّف المستنقعات والمياه الراكدة لانَّ البعوض لا ينقف الّا في الماء الراكد وتُزرع الاشجار التي من شأنها اصلاح الهواء كالاوكالبتوس. وامَّا باتلاف فراخ البعوض بعد نقفهِ اذا لم يمكن ازالة الاحواض فيُسلَّط عليهِ السمك الذي يأكلهُ اكلاً ذريعاً. واذا كانت الاحواض قليلة الاتساع امكن قتل صغار البعوض فيها بصبّ شيء من البترول او من القطران على وجهها فيستنشقها دودُ البعوض ويهلك

امَّا البعوض التامّ البنية فالوقاية من لسعهِ سهلة. وذلك انَّ اكثر ما يؤذينا لسعهُ مدَّة الليل فاذا أُحيط الفراش بناموسيَّات وكان نسيج النسيج خاب املهُ ولم يمكنهُ ان يتوصَّل الى فريستهِ

والدليل على انَّ الناموسيَّات كافية للوقاية من البطاحي بدفعها اذى النواميس انَّ الفعلة الذين اشتغلوا في الصيف الماضي في ترميم جسر نهر الكلب أُصيبوا كلهم بالحمَّى الملاريَّة لانهم كانوا ينامون معرَّضين للسعات البعوض لا يسترهم شيء من وخزها بخلاف المهندسين الذين نجوا جميعاً من هذه الآفة لانهم كانوا ينامون والكلل تصونهم من شرّ هذا الهمج. فلا يخف اذن اصحاب الاملاك الموبوءة بالحمَّيات ان يلازموا اراضيهم فلا بأس عليهم من عدواها بشرط ان يتَّقوا أذى البعوض

امَّا الذين دهمتهم الحمَّى الملاريَّة فلا نعرف لمعالجة دائهم دواء احسن من الكينا تُعطى لهم بكمّيَّات واوقات مختلفة على حكم الطبيب

والكينا لا تُعطى فقط عند انقطاع الحمَّى بل اذا اطبقت ايضاً على العليل ولزمت جسمهُ فانَّ المداواة بها حينئذٍ امرٌ محتوم. ولو ظنَّ البعض انَّ في ذلك ضرراً يزعمون « انَّ الكينا تحرق المريض » لأنَّهُ على قولهم « الكينا حامية » وان سلّمنا بان « الكينا حامية » افلا يعلمون انَّ الحديد بالحديد يُفلح ولا يُغلب العدوّ الّا بعدوّ من جنسهِ او كقول المثل الدارج « لا يشيل المرّ الّا الامرّ منهُ »

وعلى كل حال فليعلم الجمهور انَّ الكينا لا بأس منها ويجوز تلافي الحمَّى بها قبل وقوعها لتنشيط الجسم وتقويتهِ

هذا ما رأينا ايراده في هذه الاسطر الوجيزة افاد الله بها اهل الوطن الاعزاء.

التليفون وملحقاته

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

(تابع للعدد السابق)

الميكروفون

ما كاد الناس يقضون العجب من اكتشاف التليفون وعجائبه حتى بشّر العلماء باختراع آلة أخرى ضاعفت فوائده. مرادنا الكلام عن الميكروفون الذي ابدعهُ احد ارباب الطبيعة في انكلترة يدعى هيوغس (Hughes) سنة ١٨٧٨

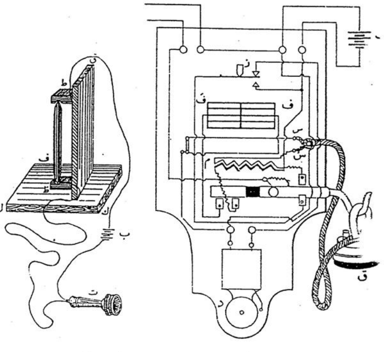
والميكروفون كما يدلُّ عليه اسمهُ (μικρός صغير و φωνή صوت) عبارة عن اداة تعظّم الصوت وتبلّغ به الى الانحاء القاصية واكثر استعماله ان يتّخذ كباعث للتليفون فينقل صوتهُ الى المسافات البعيدة

امّا تركيب الميكروفون فكما يأتي: خذ اسطوانة من الفحم (ف) محدّدة الطرفين واجعلها في قطعتين من الفحم مقعَّرتين (ط طَ) تُناطان بقائمة عموديَّة (د م) تُركز فوق لوح (ك ل). وينبغي لطرفي الاسطوانة ان لا يُثبتا في مكانهما بل تسهل حركتهما في نُقرتيهما. فاذا وصلتَ قطعتي الفحم بمجرى بطاريَّة كهربائيَّة (ب) بحيث ينتهي هذا المجرى الى مكبّ التليفون (ت) سُمع في التليفون كل صوت تبرزهُ امام الاسطوانة. وذلك انَّ الصوت يضرب الهواء فتُحدث تموُّجاتهُ حركات مختلفة في الاسطوانة وهذه الحركات تغيّر قوَّة مغناطيس التليفون فتحدث في صفيحة التليفون اصواتًا شبيهة بالاصوات البارزة امام الاسطوانة (راجع الشكل الاول ص ٢٤٨)

وهذه الآلة مع بساطتها غاية في الدقة تُشعر بأدنى الحركات واخفها بل تُحيلها الى جلبة عظيمة وذلك ليس فقط في الصوت البشري بل ايضًا في اي صوت كان فاذا مشت مثلًا ذبابة على اللوح الذي يسند القائمة المثبت عليها الميكروفون سُمع لمشيها صوت ضخمٌ في التليفون وكذلك اذا وقعت كُرة صغيرة من القطن فانَّ صوت وقعها يبلغ الى اذن السامع كالضوضاء العظمى

ويُستعمل الميكروفون بان يُجعل على منضدة وتُوضع من تحته انسجةٌ كالوسادة

لئلَّا تؤثّر فيهِ الاهتزازات الواردة اليهِ من الاجسام المجاورة لهُ . واذا تكلَّم المتكلّم امام الميكروفون ولو على مسافة ثمانية امتار احسَّت الآلة بالصوت ونقلتهُ الى التليفون



الشكل ٢ تركيب الباعث في ميكروفون آدر الشكل ١ الميكروفون مع التليفون

وقد زاد بعض الطبيعيين في عدد الاساطين فمنهم من اتّخذ اسطوانتين فاكثر. وجعلوا الميكروفون على هيئاتٍ شتّى بلغ عددها مئتي تجهيز مختلف لكنَّها كلَّها مبنيَّة على مبدإٍ واحد . ومن الضروري اذا توفَّر عدد الاساطين ان يُجمع بينهـا لتكون حركاتها منتظمة متساوية

ومِمَّن اصاب السَّهم المعلى في تجهيز ميكروفون هيوغس وجعلهُ في غاية الصلاح والسهولة لنقل الاصوات المسيو كليمان آدر (C. Ader) احد مهندسي شركة التليفون

العامة في فرنسة. وآلتهُ اليوم شائعة في كل اقطار اوربا

فالباعث في هذه الآلة يتركَّب من عشر اساطين فحم او ١٢ تجعل كالشبَّاك على صفَّين خمساً خمساً او ستاً ستاً (ف ف) تتأثر اطرافها بالحركة الواردة اليها من صوت المتكلم فتتماكس بحركاتها مجاري الكهرباء. وقد اتخذ المسيو آدر هذه الطريقة لتقوى بها الاصوات وذلك لتعدد حركات الاساطين الفحمية. وهذا الميكروفون يجعل وراء لوحة من خشب الشوح تكون لهُ بمنزلة الغطاء. ويُضاف اليه مكبّ (م) ذات مجرًى ثانوي لتعزيز الاصوات فضلاً عن البطاريات (ب) المولّدة للكهرباء في كل هذا الجهاز

فاذا تكلم احد امام لوحة الخشب اهتزَّت وباهتزازها تحرَّكت الاساطين الفحمية وتولَّدت مجارٍ كهربائية متماكسة تنتقل بواسطة الاسلاك (س س) الى التليفون القابل (ق) فتتجدد فيه هذه الاصوات بعد تمغط فولاذهِ واهتزاز صفيحتهِ كما شرحنا سابقاً (راجع الصفحة ١٩٦). ويلحق بهذه الآلات دقَّاق (د) او مُنبّه كهربائي يدقّ اذا ضغط المتكلم على زرّ عندهُ شبيه بزرّ الباعث (ز) فيسمعهُ المخاطب الواقف عند القابل ويعرف انهُ مطلوب للحديث (راجع الشكل الثاني)

فالميكروفون كما ترى يقوم اليوم مقام الباعث ولم يَعُد تليفون «غراهام بلّ» مستعملاً بهذه الصفة وانما يستعمل بصفة قابل مع بعض التحسينات التي جوَّدهُ بها قوم من ارباب الطبيعيات كالاساتذة غوِر وادسون وبلاك وكروسلي. وغاية هذه التحسينات المتوالية ان ينقل الصوت الى مسافات بعيدة. ومن اراد تبليغهُ الى امكنة قريبة يمكنهُ ان يكتفي بتليفون «بلّ» فانهُ مع وفائهِ بالمرام رخيص الثمن يساع الباعث والقابل معاً باقلّ من عشرة فرنكات

قد اشرنا سابقاً الى سرعة انتشار التليفون بعد اكتشافهِ الّا انَّ تقويتهُ بالميكروفون عمَّمت استعمالهُ في كل البلاد المتمدنة ولم يمرّ على تاريخ وضعهِ ثلاث سنوات حتى بلغت في اميركة وحدها اسلاك التليفون ١٣٠٠٠٠ سلك

وفي معرض الكهرباء سنة ١٨٨١ بيَّن المسيو آدر ما يؤديهِ الميكروفون من الخدمات ليس للافراد فقط بل للجمهور ايضاً فانهُ جمع باسلاك تليفونيَّة بين ملعب باريس الكبير والردهة المختصَّة بالصنائع والفنون فأسمع زوَّار المعرض كلّ النغمات والآلات الموسيقيَّة التي كانت تطرب مسامع الجمهور في الملعب مع انَّ المسافة بين

الحلين تبلغ كيلومترًا. ثم أُنشئت الشركات في فرنسة لتعميم استعمال التليفون ليس فقط بين اهل مدينة واحدة بل بين مدن مختلفة حتى أوربى اليوم مجمل طول اسلاكها المستعملة على ١٠٠٠٠ كيلومتر. ويقوم التليفون مقام التلغراف وهو يفضل التلغراف من اوجه عديدة

ولا يزال المهندسون وارباب الصنائع يبتدعون طرائق جديدة لتسهيل استعمال التليفون كي يتمكَّن شخص واحد من مخابرة كل من اراد ليس فقط في مدينة معلومة لكن في اي مدينة شاء. مع ما يحول دون ذلك من المصاعب. فدونك ما اخترعوا لشركة التليفونات العامَّة مراكز في اكثر المدن فان اراد احد اهل مدينة ان يكلّم شخصاً معلوماً من مدينة اخرى جاء المركز واستدعى الشخص المقصود بواسطة عامل مركز تلك المدينة. فاذا جاء تباحث الشخصان ما شاءا باجرة معلومة

ولكن ان اراد الشخصان المذكوران ان يتجاذبا الحديث مرارًا في النهار امكنهما ذلك دون ان يخرجا من بيتهما بشرط ان يُمدَّ سلك تليفونيّ بينهما وبين المركز فيعلم المسيو «ا» عامل المركز انهُ يريد ان يخابر المسيو «ب» في مدينة مقصودة فينبهُ هذا العامل عميلهُ في تلك المدينة وهذا يعلم المسيو «ب». ثم يوصل العاملان في المدينتين اسلاك تليفون المسيو «ا» والمسيو «ب». فيتباحثان طالما شاءا. واذا انتهيا من حديثهما اشارا الى العاملين بان يقطعا الاسلاك

ومن المعلوم انَّ المدن الكبرى كباريس ولندرة لا يكفيها مركز واحد يفي بحاجة الجمهور. فقد جُعل لكل قسم من هذه الحواضر مركز خصوصيّ

ومن التحسينات التي اجراها اصحاب الشركات التليفونية انهم اضافوا للمراكز آلة جديدة اخترعها احد الاميركيين تُمكّن المشتركين ان يباحثوا ايَّ انسان شاؤوا في اي مدينة كانت واي وقت ارادوا دون واسطة عملة الشركة ولا خطر على اكتشاف اسرارهم. وهذه الآلة يدعونها التليفون ذا الجهاز المتبدّل (auto-commutateur) وهي احدى طرائف عصرنا شاعت منذ زمن قريب في الولايات المتحدة ثم استعملها الانكليز والالمان ثمَّ الفرنسويون

التليفون الصائت

التليفون العاديّ لا يسمعهُ الاَّ شخص واحد بالصاق القابل في اذنهِ. الاَّ انهُ في بعض الاحوال يحتاج المتكلم ان يبلغ كلامهُ الى كثيرين كصاحب معمل لكل

عمّاله وكُبّان لمجاريه جميعاً دون ان يستدعي المتكلم شخصاً واحداً. فقد توفّق احد العلماء الفرنسيين المسيو غليار (Gaillard) الى وضع آلة تأتي بهذا المقصود فسماها التليفون الصائت (téléphone haut - parleur) لان صوت المتكلم يبلغ الى مسامع كل الحضور دون وسيط. وان اراد المتكلّم ان يوجه كلامهُ الى شخص واحد من الحضور كلمهُ ويبقى الباقون في شغلهم . فهذه الآلة كما ترى كثيرة الفوائد لاسيما في معاهد الجيوش وفي المعامل الكبرى والمكاتب العمومية او الدولية

التلغرافون

هذه الآلة ظهرت لاول مرّة في العام الماضي في معرض باريس اخترعها احد علماء الدنيمرك المسيو ڤلدمار پولسن (V. Poulsen) من مهندسي كوبنهاك . والتلغرافون عبارة عن آلة تدوّن الصوت وترقمهُ ولذلك دُعيت بهذا الاسم المركّب من كلمتين يونانيّتين معناها « كتابة الصوت »

وذلك ان المتكلم يقول ما يريد بإزاء فوهة التليفون فالجاري الكهربائيّة الناتجة من اهتزازات الصوت تنتقل الى اسلاك تليفونية وتنتهي الى قابل . والقابل عبارة عن قطعة من مغناطيس مكهرب يتحرك بقرب صفيحة من النيكل او الفولاذ ملفوفة حول اسطوانة . فاذا بلغ الصوت الى الاسطوانة دارت وتدوّن الصوت على الصفيحة تدويناً كهربائياً لا ترى لهُ العين اثراً . وان شاء احد استماعهُ ادار الاسطوانة فسمع الصوت المرقوم فيها . ويجوز تكرار ذلك مراراً عديدة . وكذا آلات الطرب واصوات الغناء تنطبع في الآلة بحيث يمكن استماعها مرّات متوالية وبعد زمن طويل . وان اراد احد ان يمحو هذه الكتابة الكهربائيّة ليبدلها بغيرها امكنهُ الامر بلا عناء بان يجيز عليها مجرى كهربائياً

وهذه لعمري آلة من ابدع ما توصَّل الى اكتشافهِ عقل الانسان . فلا مراء انها عمّا قليل تؤدي للهيئة الاجتماعيــة خدمات جليلة تتحقق بها آمال مخترعيها فسبحان الخالق الذي وفَّر في الطبيعة اسباب الهناء لعباده . تبارك اسمهُ وعزَّ قدرهُ . وان كان الشكر واجب على الانسان لكل نعمهِ تعالى فلعلّهُ اوجب في التليفون وملحقاتهِ وفيه من العجائب ما فيه حتى انَّ الطبيعي الشهير السر تُمسون لم يتمالك اول مرَّة سمعهُ في معرض فيلادلفيا ان يصرخ : « قد رايت اليوم اعجب كل العجائب »

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب أنستاس الكرملي (راجع المشرق ٣:٣١٨)

٩٣ (الأُسّ) بمعنى الاصل اظنها من توافُق اللغات لا من المعرَّبات وهي باليونانيَّة οὐσία وقد وردت ايضاً في بعض كُتُب مؤلفي الروم (usia) وهذه لا شكَّ مأخوذة من تلك

٩٤ (الإِرِّيس) بمعنى الأكّار اظنُّها مشتقة من فعل يوناني ὀρύσσω بمعنى أكر الارضَ وحفرها. وربَّما كانت من توافُق اللغات (١

٩٥ (العُنْقُرُ) براء مهملة في الآخر. هو اصل القصب وقيل اول ما ينبت منهُ وهو غضٌّ. والبرديُّ. وقيل ما دام ابيض. وقيل كل اصل نباتٍ ابيض الواحد عُنْقُرَة (من جمهور اللغويين) قلتُ هي معرَّبة عن ὄρογχος وباللاتينيَّة urruncum وشرحها كيشرات بما حرفهُ: partie inférieure de l'épi (Quicherat)

٩٦ (المَرْقَصَة) بمعنى الرَّقص تعريب ὤρχησις بمعناهُ (danse, ballet, pantomine) ويصحّ ان يُعنى بها ما يُسمّيهِ اليوم الافرنج (orchestre) المشتقة من هذه الالفاظ عينها مع زيادة علامة الاسمية عندهم اي ὀρχήστρα ويُراد بها عندهم مكان المَرْقَصَة اي المُرْقَص وجماعة الراقصين او المُرْقِصُون(٢ اذ يجوز لنا ان نشتقّ من الالفاظ الاعجميَّة الفاظاً عربيَّة على ما جاء في المزهر (١ : ١٣٨)

٩٧ (العُقْبُول) وتجمع على عَقَابيل وارادوا بها: الشدائد وبقايا العلَّة والعداوة والعِشق وما يخرج على الشفة غِبَّ الحمَّى وهي تعريب εἰσβολή معناها شدَّةُ الحمَّى

---

١) هذا توافُقٌ في اللفظ ليس الّا. ويجوز القول عموماً انَّ اسماً عربيًّا لا يشتقُّ عادةً من فعل يونانيّ لانَّ ذلك يقتضي من الفكر والتروّي ما لم يعتدهُ الجمهور. فاذا نقل الناس كلمة نقلوها بصورتها المادّيَّة ه. ل

٢) اشتقاق العُنقر والمَرْقصة كما رواه حضرة الاب انستاس يوافق القاعدة التي اثبتناها في المشرق (١ : ٨٣٦)

وهجوم المرض(١ . فعمَّم العرب المعنى ثم اطلقوها على ما يخرج على الشفة لان بعد الحمَّى لا تخلو هذه البثور من الخروج. وايضاً من باب تسمية المُسبَّب باسم المسبِّب او تسمية المعلول باسم العِلّـة . امَّا قلبُ السين قافاً فهو معروف في المُعرَّبات. ومثلهُ في الاوَّل قِندَأْو واصلهُ سِندَأْو والاثنان مستعملان في العربية. وفي الآخر غرنوق والاصل غرنوس γέρανος وهذه العُقبُول من امثال الالفاظ التي قُلبت فيها السين قافاً في الحشو. ثم لمَّا جُمعت على عقابيل صحَّفوها وقالوا: ٩٨ (عقَابيس) ثم هذه ايضاً صُحِّفت فقالوا: ٩٩ (عَبَاقيس) . فتأمَّل ولا تغفَل

١٠٠ (العُنبُس والعُنبُوس) . و١٠١ (والعُنبُص والعُنبُوص) . و١٠٢ (العُنقُص والعُنقُوص) « التاج في معالمها » . كلها بمعنى العَز نقصان فقُطِعت منها كما ورد كثير مثلها ثم صُحِّفت وقد مرَّ بك انها معرَّبة (راجع العدد ٧١)

١٠٣ (القَرْن) بمعنى مائة سنةٍ او الوقت من الزمان تعريب χρόνος بمعناهُ بل بمعانيهِ العديدة ان في العربية وان في اليونانيَّة (٢ .

١٠٤ (القِنبَض) « بنون بعد القاف » وهذه النون في الكلمة اصليَّة بخلاف ما قالهُ اكثر اللغويين واكثر الصرفيين (التَّاج) وفسَّروها الحيَّة . قُلنا والاصحّ انهـا ضربٌ من الحيَّات خبيث وهي تعريب σηπεδων وقد نقلوا النون من الآخر ووضعوها بعد القاف . وقد مرَّ بك قلب السين قافاً . وهي حيَّة اذا عضَّت الآدميَّ اوقعت في جسمهِ الفساد والانحلال (sipède)

١٠٥ (القِندَأْوُ) و١٠٦ (السِندَأْوُ) و١٠٧ (القِندَأْوُ) و ١٠٨ (العِندَأْوُ) الاصل في كل ذلك: السِندَأْوُ معرَّب σίντης في حالة الجرّ اي σίντου ويدلُّكَ على انها معرَّبة غرابة الوزن وخلوّ اصل الكلمة من معنًى تتفرَّع منهُ هذه الصيغة او يصدر عنهُ هذا الاشتقاق . ولهذا ترى اللغويين والنحويين والصرفيين في آراء مختلفة واقوال مختلفة ويحسُنُ بنا ان نورد طرفاً منهـا لتتعوَّد أُسلوب جدلهم ولترى ما في كلامهم من

---

١) ان صحَّ اشتقاق هذه الكلمة من اليونانيَّة فالاولى ان يقال انَّ الذين عرَّبوهـا نقلوها عن ἔκβολή تصحيف εἰσβολή ومثل هذا التصحيف كثير ه . ل

٢) ليس هذا الاشتقاق بثبت . لانَّ اللفظة اليونانيَّة تدل على زمن محدود ثمَّ لانَّ تعريب χ بحرف القاف ممَّا لا تذكر لهُ مثلًا ه . ل

المجازفة والتحكّم والتقوّل والتفنّن في ضروب التأويل والتعليل ممّا يذهب بكَ الى الاضاليل لا الى سواء السبيل. فمن ذلك ما قالهُ صاحب التاج ونقلهُ بحرفهِ: القِنْدَأْوُ كفِنْعَلْوٍ اي بزيادة النون والواو فاصله « قدأ » ومحلهُ هذا وهو رأي بعض الصرفيين. وقال الليث: « ان نونها زائدة والواو فيها صلة » وقال ابو الهيثم: « قِنداوة فِنعالة » قال الازهري: « والنون فيها ليست باصليّة ». وقال قوم: « اصلهُ من قند والهمزة والواو زائدتان ». وبه جزم ابن عصفور ولذا ذكرهُ الجوهري وغيرهُ في حرف الدال: السيء، الغذاء، والسيء: الخلق والغليظ والقصير من الرجال وهم قِنْدَأْوُون. وقيل هو الكبير العظيم الرأس الصغير الجسم المهزول. والقِنْدَأْوُ ايضًا الجري: المُقدِم (التمثيل لسيبويه والتفسير للسيرافي) والقصير العنق الشديد الرأس (قالهُ الليث). وقيل هو الخفيف والصلب. وقد همز الليث: جَمَلٌ قِنْدَأْوٌ وسِنْدَأْوٌ. واحتجّ بانهُ لم يجيءْ بناء على لفظ قِنْدَأْوٍ إلّا وثانيهِ نون. فلما لم يجيءْ هذا البناء بغير نون علمنا ان النون زائدة فيها. كالقنداوة بالهاء في الكل ممّا ذكر. وفي عبارته هذه تسامح فان الصحيح ان السيء الخلق والغذاء والخفيف يقال فيها بالوجهين. واما ما عدا ذلك فالثابت فيهِ القِنْدَأْوُ فقط. واكثر ما يوصف به الجمل. يقال: جمل قِنْدَأْوٌ اي صُلْبٌ وناقة قِنْدَأْوة جريئة. قال شَمِرٌ: « يهمز ولا يهمز. والجريُّ هو السرعة. وقد قال في عبارة: والجري، المُقدِم فلا يقال انّ المصنف غفل عما في الصحاح « ناقة قنداوة سريعة » كما زعمهُ شيخنا. ووهم ابو نصر الجوهري فذكرهُ في حرف الدال المهملة بناء على ان الهمزة والواو زائدتان كما تقدّم. وهو مذهب ابن عصفور وانتَ خبير بان مثل هذا لا يُعَدُّ وهمًا فليتأمّل ». اه بحرفهِ.

وقال في ترجمة العِنْدَأْوَة: « العِنْدَأْوَةُ كفِنْعَلْوَةٍ فالنون والواو والهاء زوائد. وقال بعضهم: فِعْلَلْوَة والاصل « قد أُميتَ فعلهُ ولكن اصحاب النحو يتكلّفون ذلك باشتقاق الامثلة من الافاعيل وليس في جميع كلام العرب شيءٌ يدخل فيهِ الهمزة والعين في اصل بنائهِ الّا عِنْدَأْوَة وامَّعة وعباء وعفاء وعماء. فامّا عظاءة فهي لغة في عظاية. وأعا في لغة وعا. كذا في لسان العرب فلا يقال مثل هذا لا يُعَدّ زيادة الّا على جهة التنبيه كما زعمهُ شيخنا » العَسَر محركة وهو التواء يكون في الرجل. وقال بعضهم: هو الخديعة ولم يهمزهُ بعضهم. والجفوة والمُقدِم الجري. يقال: ناقة عِنْدَأْوَةٌ وقِنْدَأْوَة وسِنْدَأْوَة (قلتُ وزِد قِنْدَأْوَة بمعناها كما ذكرها اللغويون باسرهم) اي جريئة حكاهُ

شمَّر عن ابن الاعرابي كالعنداو بغير هاء. والمكر... وقال اللحياني: العنداوة ادهى الدواهي وفي المثل: «ان تحت طِرّيقَتِك... العِنداوة»... يقال هذا للمطرق الداهي البِكّيت والمطاول ليأتي بداهية ويشدّ شدَّة ليثٍ غيرِ متَّقٍ (اه مع حذف ما عُوّض عنهُ بنقطٍ). وقد ذكر مثل هذا الكلام او ما هو بمعناهُ في القِنداوة والسِنداوة فاكتفينا بما تقدَّم

وخلاصة المعنى راجعة كلها الى معنى الكلمة اليونانية σίντης ومعناهُ المخرِّب والمدمِّر واللِصّ والداهية والجريء المُقدِم الآتي بالشدائد والبلايا. وهي مشتقة من فعل وهو بلسانهم σίνομαι يؤيد معنى المشتقات منهُ

ولم يكتفِ العرب بما تقدَّم ذكرهُ من التصحيف فان السِنْدَأْو صُحّفت ايضاً ١٠٩ (السَنْدَأْبُ) و ١١٠ (السِنْدَر) و ١١١ (السَنْدَر) و ١١٢ (السَنْدَرِيّ) الى غير ذلك ممَّا يبعد رويدًا رويدًا عن الاصل. امَّا من انَّهم اطلقوا هذه الصفة على الجمل والناقة اكثر من اطلاقهم لها على الانسان فلأنَّ هذه الدابة اذا ساء خُلقُها خرَّبت ودمَّرت اكثر من الانسان كما هو مشهور عنها (١

١١٣ (الكَنْعَد) و ١١٤ (الكَنَنْد) كجعفر ضرب من السمك (عن الدميري ولم يذكر الثانية احدٌ من اللغويين). وقال في التاج: الكَنْعَدُ سمك بحري ١١٥ (كالكَنْعَت) واري تاءهُ بدالًا اه. و ١١٦ (العَنْكَد) وقال في التاج ايضاً: «العَنْكَد ضربٌ من السمك البحريّ كما في اللسان وغيرِهِ» اه. وذكر هذا السمك صاحب المحيط المحيط وقال: ١١٧ (العَنْقَد) بقافٍ عوضاً من الكاف. فهذه اربع لغاتٍ راجعةٌ الى اصلٍ واحدٍ دخيلٍ يوناني وهو χάννη فقيل فيها "كَنْعت" ثمَّ «كَنْعَد» ثمَّ البواقي. والمعاقبة بين السين والتاء والدال ليست غريبة فمثلهُ القَلَقَنْد والقَلْقَنْت والقَلْقَديس تعريب χαλκάνθη واسم هذا السمك بالفرنسية (serran) وباللاتينيَّة serranus

غير ان اصحاب البلاد التي يغمرها بحر فارس والبحر الاحمر يسمُّون سمكاً آخر بهذا الاسم ايضاً ومنهُ اسمهُ الافرنجي اي (canade) المسمَّى باللاتينيَّة العلمية

---

١) ما ذكرهُ حضرة الاب انستاس في القنْدَأْو والسندَأْو لا يخلو من الغرابة وفيهِ بعض نظر   م. ل

(gasterosteus spinachia) والمسمّى بالفرنسيّة العاميّة (épinoche gastré) اي السَقُّور الشوكيُّ البطن

١١٨ (الأَزْبَدُ) قال السيّد المُرتضى: « الازبَدُ حيَّة خبيثة وقيل ضربٌ من الحيَّات ». وقال الدميريّ: « ضربٌ من الحيَّات يعضّ فيرَبدّ منهُ الوجه . . . » قُلنا الازبَدُ والعِربَدُ من اصل واحد وهو ἑρπετός اليونانيّ. غير انَّ العِربَدَ قد ابتعد عن هذا الاصل اكثر من الازبَد الموافق كل الموافقة لمأخذه. (راجع العربد في المشرق ٢ : ٣٤٧ العدد ٤)

١١٩ (الخُرْصُ) بمعنى الغصن والقناة وجريد النخل وعُوَيد محدَّد الرأس يُغرس في عُقَد السقاء والرمح وعود يُخرج بهِ العسل (عن اللغويين) تعريب χάραξ

١٢٠ (الخِرْطيط) تعريب χάραξος وبالفرنسيَّة (charaxe) وهي فراشة منقوشة الجناحين (القاموس). وهذه الفراشة تكثر في سورية وجزيرة العرب وبلاد العجم واغلب وقوفها على شجرة القطلب والعفار وقلبت ξ او x طاء كما في قرطاط واصلها (cortex)

١٢١ (الخَرْطال) حبٌّ او هو الهرطمان تعريب χάρταριον ومعناهُ الكلأ والعلف وكل ما يؤكل وبالاخصّ انواع الحبوب والقطانيّ

١٢٢ (السِنِمّار) قال التاج: « السِنِمّارُ بكسر السين والنون وشدّ الميم القمَر. عن ابي عمرو. وقال ابن سيده: « قمرٌ سِنِمّارٌ مُضيءٌ ». حكي عن ثعلب. وقال يونس: « السِنِمّار رجلٌ لا ينام بالليل وهو اللصُّ في كلام هُذَيل لقلَّة نومهِ ». وقد جعلهُ فِنِعلالًا وهو اسم روميّ وليس بعربيّ لان سيبويهِ نفى ان يكون في الكلام سِفِرجالٌ. فامّا سِرِطراط فَفِعِلْعالٌ من السرط الذي هو البلع » اه بحرفهِ. قلتُ وقد اصاب سيبويه بقولهِ: « ليس بعربيّ » وهو بالروميَّة συνάμωρος ومعناهُ اللص

١٢٣ (الخَوى) بمعنى الوطاء بين الجبلين لعلَّهُ من موافقات اللُغات وهو في اليونانية χάος بمعناه تقريبًا

١٢٤ (الخَواء) بمعنى الهواء اظنهُ كالسابق وهو بالروميَّة χάος ايضًا

١٢٥ (اللُجَيْن) قال الاب هنري لامنس اليسوعيّ اللغويّ المتفنن في كتابهِ المترجم بالفروق (في حاشية ص٢٥٧) ما نصُّهُ: « اللُجَيْنُ جاء مصغرًا كالثُرَيّا والكُمَيت

وليس لهذا التصغير وجهٌ. ولذلك ذهب بعض علماء الافرنج الى انهُ ليس بعربيٍ بل هو تعريب (lagena) » اه. قلنا: ونحن ايضاً نذهب مذهب الافرنج لكن لا نجسُرُ ان نقول انهُ معرَّب (lagena) او λάγηνος لما في ذلك من التكلُّف والتعسُّف ما لا يخفى على عاقل لان معنى هذا الحرف القارورة (bouteille) والُمصاية (flacon) والحَوجلَة (carafe) فايَّة صلةٍ معنوية تربط لفظة القارورة بكلمة الفضة. ولكننا نقول بانها تعريب ἀργεινός ومعناهُ الابيض اللمَّاع ثم سُمِّيت بهِ الفضــة من باب التغليب. ومن هذه اللفظة اشتق اللاتين لفظتهم (argentum) والفرنسيس (argent) فتأمَّل وحرِّر التعريب (١

١٢٦ (القُوق) قال الدميريُّ: القوق بالضمّ طائر طويل العنق. قالهُ في العُباب. قلنا هو معرَّب κήξ, κήκος قُلبَت فيهِ الياء واواً كما في قربوس واصلــهُ قربيس والقُوق ضرب من الغوَّاص او من زُمَّج الماء ولهُ لغات باليونانية منهــا: καύηξ و καύαξ و κήϋξ κρηπίς

١٢٧ (الخُنخُعُ) قال محبُّ الدين الزبيديُّ: « الخُنخُعُ كهُدهُدٍ اهملهُ الجوهريُّ ». وقال ابن دُرَيدٍ: « نبتٌ وليس بثبتٍ » او شجرة وهو قول ابن شميــل ذكرهُ في كتاب الاشجار. وذكر الازهريّ في ترجمة « عُهعُخ » انهُ شجرة يُتداوى بها وبورقها. قال: وقيل هو الخُنخُعُ. وقد تقدَّم. قال ابن شميل: قال ابو الدقيش: هي كلمة معاياة ولا اصل لها » اه بحرفهِ. قلنا ان هذه الكلمة وان كانت كلمة معاياة فان لها اصلاً وهذا الاصل هو الاصل اليوناني (٢ وهو κίκι ومعناهُ الخِروع. واما ١٢٨ (العُهعُخ) فهو تصحيف الخُنخُع. قال الزبيدي في هذه المادة ما بعضهُ: العُهعُخ بالضمّ وقيــل كدِرهَم وقيل كجُندَب . . . شجرة يُتَداوى بها وبورقها ». واما قولهم « شجرة الخُنخُعَة تحمل سنة خُنخُعَتَين وسنة خُنخُعَة » فلا يُراد من ذلك ايراد حقيقة اذ تحمل اكثر من خنخعة بل طلباً للمعاجزة وللمعاياة

١٢٩ (اللياء) قال الدميريُّ: « اللياء سمكةٌ في البحر يُتخذُ من جلدها الترسة

---

١) قد تركنا في كتاب الفروق المهدة في اصل هذه اللفظة على المستشرقين فليراجع كتاب (Die aram. Fremdwörter im Arabischem. p. 130, 152) اما رأي حضرة الاب انستاس فنرى فيهِ بعض التعسُّف هـ. ل ٢) واللفظة اليونانية شرقية الاصل هـ. ل

فلا يحيك فيها شيء من السلاح ولا يقطع. وفي الحديث: ان فلاناً اهدى لرسول الله (صلعم) بودان لياء مُقَشًّى. ومنهُ حديث معاوية (رضه) انهُ دخل عليهِ وهو يأكل لياء مُقَشًّى » اه بحرفهِ. قلتُ: ان اللياء المذكور في هذا الحديث هو هذا الشيء الذي يُشبه الحمص لا السمكة. قال السيد المرتضى الزبيدي: « وفي الحديث دخل على معاوية وهو يأكل لياء مُقَشَّرًا » وفسَّرهُ كما فسرناه. لان هذه السمكة لا تصلح للاكل بل محرَّم اكلها على المسلمين اجمعين لانها من جنس القِرْش. والكلمة يونانية وهي فيها λαμία بمعناها فاسقط العرب منها الميم كما هو من عاداتهم اذ لا بُدَّ من ان يشوّهوا الكلمة الاعجميَّة عند افراغها بالقالب العربيّ. وهي نفس ١٣٠ (اللبا) الذي ذكرها المعلّمان البستاني في محيط المحيط والشرتوني في اقرب الموارد لكن لم نقع على اثر لها في كتب اللغويين اخوتهم. ومن اعجب العجائب اننا رايناها مذكورة في المعجم الفرنسي العربي المطوَّل للاب بلو مقابلةً لكلمة (raie) الفرنسيَّة اذ ذُكرت هناك بهذه الصورة: سمك تُرسيّ الشكل. سمك اللبا. ورَنك. ولم نجد للوَرَنك ذكرًا ايضاً فقد ذكر الشرتوني في باب التنبيه: (ص ٥٣٤) انهُ نقل الورنك بهذا المعنى عن محيط المحيط. وهذا اخذها عن فريتغ الذي نقلها عن كتاب وصف الحيوانات للمعلّم فورسكل

١٣١ (القَلَنْسُوَة(١)) لو قلنا للقارئ ان القلنسوة معرَّب ἐκκλησία بمعنى البيعة والكنيسة لاخذهُ العجب العُجاب ولقال عنا اننا نرمي الكلام على عواهنهِ. لكن دعنا يا هذا نمدُّ نفَسَنا و بعد ذلك اعترض علينا بما يبدو لك

ان سبب تسمية القلانس بهذا الاسم الذي معناهُ في الاصل الكنائس او الهياكل هو لانَّ رؤوس هذه الهياكل في الايام القديمة كانت تُبنى على هيئة مخروط حتى اذا هطلت الامطار لا تضرُّ بها. وكان اليونان والرومان قبل المسيح وبعدهُ يقيمون اغلب الاحيان هذا النوع من الهياكل فوق الجبال والتلال ونحوها. فسمَّى العرب الاولون هذه العَمْرَة او هذه القُبَّعة التي توضع في الرأس باسم هذا الضرب من البناء من باب المشابهة فكانهم قالوا باديء بدءٍ عَمْرَة او قُبَّة كالقَلَيْسية. ثم اكتفوا باللفظة الاخيرة استغناء بمعناها عمَّا يسبقها من الالفاظ كما قالوا الصنبور والسعدانة وكبش القوم

---

(١) اثبتنا هذه اللفظة وقول حضرة الاب انستاس في اشتقاقها تفكهةً للقرَّاء ليس الاَّ . م . ل

وثورهم الخ · من هذا الباب ولهذا السبب عينه . ثم عُرّبت ἐκκλησία فقيل قُلَيسة بالتخفيف او قُلَيسَّة بتشديد الياء . ولا عجب من حذف الهمزة في الاول بعد الشواهد التي اوردناها سابقًا . ولمّا اصبحت بهذه الصورة اي قُلَيسة قالوا انها عربيّة مُصغّرة وانها مأخوذة من القلس اي الارتفاع . قال الزبيدي في شرح كلمة تشبه اللفظة التي نتكلم عنها اي القُلَّيس ما حرفهُ : « القُلَّيس كقُبَّيط بيعة للحبش كانت بصنعاء اليمن بناها ابرهة وهدمتها حِمْيَر . وفي التهذيب هي القُلَّيسة » . وقال الدميري ولا يضرّك عليه رجلٌ لانهُ افرغ كنانة هذا الموضوع ما نصّهُ (في كتاب حياة الحيوان ٢ : ٢٠١) : « والكنيسة التي بناها ابرهةُ بصنعاء تسمّى القُلَّيس مثل القُبَّيط سُمّيت بذلك لاجل ارتفاع بنائها وعلوّها · ومنهُ القلانس لانها في اعلى الرؤوس · يُقال تقلّس الرجلُ وتَقَلْنَس اذا لبس القَلَنْسُوَة · وتَقَلَّس طعامًا (كذا · ولم ارهُ في كُتُب متن اللغة) اذا ارتفع من معدته الى فيه » اه · قلنا ولا يخفى على القارئ ان القُلَّيس تعريب آخر للفظة اليونانية المذكورة فتصرف بها العرب وجعلوها باسم علَم للبيعة التي بناها ابرهة · قس الشيء على الشيء

قلنا ولما صارت اكليسية قُلَيسَّة او قُلَيسَة اي بصيغة التصغير اخذ العرب يتحذلقون في ذكر مكبّرها فقال قوم هي القَلَنْسُوَة وزادت جماعة القُلَنْسِيَة وذكر آخرون معهما القَلْسُوَة واوصلهما فريق الى الاربع وهذه الرابعة هي القَلْساة · واضاف البعض على ما تقدّم القلنيسة وجمعوا القلنسوة على قلانس وقلانيس وقَلَنْس وقلاس وقلاسيّ (عن جمهور اللغويين) . وعوضًا من ان يذكروا ان اصل وضع هذه الكلمة كان التصغير صرّحوا بالخلاف · ومّما يثبت قولنا انها وضعت في الاصل مصغّرة ثم وضعوا بعد ذلك مكبّرها الادلّة الآتية : ١ً الاصل معرَّبة عنهُ بالوجه الذي قدّمناه · ٢ً ان ورود تصغير هذه الكلمة بوجهين متقاربين ناشئ من اعجميتها لا من عربيّتها · فان قلتَ قُلَيسَّة بتشديد الياء فانك تعربها من اليونانيّة لان الشدّة او كما يقول الاعاجم النَّبرة (accent) هي على الياء ἐκκλησία · وان قلتَ قليسة بتخفيف الياء فانك تعربها عن اللاتينيّة والنبرة فيها على الحرف الثالث اي (ecclésia) · والاصحّ اللغة الاولى لان اللاتين اخذوا لفظتهم عن الاغريقيين · هذا وانت ترى ان التصغير في هذه الكلمة عرضيّ لا اصليّ ولهذا اخذ العرب يتساءلون في ما عسى ان يكون مكبّرها · وهو دليلنا

الثالث. ٣ً وتوصُّلا الى معرفة ذلك اخذوا يقيسونها على غيرها من الاوزان والموزونات وكما ان صيغتي فُعَيْلَة وفُعْيَلَة تأتيان لفَعْلُوَة وفُعْلية وفَعْلُوَة وفَعْلاة وفَعْلية عدّدوا لها جميع موزوناتهنَّ لجهلهم الموزون الاصليَّ. ومن ذلك لُغات قَلَنْسُوَة المختلفة التي ذكرت بُعَيد هذا ٤ والآراء ايضًا قد تضاربت في جمعها كما رأيتَ

هذا ما اردنا ان نبيّنه في هذا الصدد مجتزئين بايراد ما اورده غير ذاكرين اراء العرب والافرنج في هذه اللفظة خوفًا من ايراث الملل في القرَّاء (١

١٣٢ً (الصَّومَعة) قال القاموس: «الصَّومعة كجوهرة: بيتٌ للنصارى كالصَّومع لدقة في رأسه» اه. قال سيبويه: الصَّومعة من الاصمع يعني المحدَّد الطرَف المنضم» اه. وقال التاج: «والعقابُ صومعةٌ لارتفاعها ابدًا على اشرف مكان تقدر عليه. هكذا حكاه كُراع منونًا ولم يقل صومعة العقاب. ومن المجاز: الصومعة: البُرْنُس... وذروة الثريد وجُثَّتهُ. وقيل تُسمَّى الثريدةُ صومعةً اذا حُدِّد رأسها وسُوِّيت». اه مع حذف ما عُوِّض عنهُ بالنُقط. قلتُ نعم انَّ الصومعة بمعنى البُرْنُس من المجاز. وهذا المجاز قد نُقل من صومعة الراهب التي كانت تُبنى كالقَلَنسيَّة محدَّدة الرأس. وهذا دليل آخر يؤيد رأينا في اصل معنى القَلَنسوة اي انها نُقلت الى معنى الكُمَّة الطويلة المحدَّدة الرأس مجازًا لا وضعًا. غير ان الفرق بين الصومعة والقلنسوة ان الصومعة معروفة عند العرب في المعنى الوضعيّ المجازيّ. واما القلنسوة فمعروفة عندهم بالمعنى المجازيّ فقط. واعلم ان الصومعة نفسها بمعنى بيت الراهب المُسنَّم يونانيَّة ايضًا وهي في هذه اللغة σεμνεῖον فحُذفت منها النون كما حُذفت من عرَنتصان فقالوا فيها عَرقصان وفي عَرَنْتن قالوا فيها عَرتن. (راجع التاج مادة ع ر ق ص)

(١٣٣ً القُلقاس) يونانيتها κολοκάσιον, κολοκασία

(١٣٤ً الصَّعف) شراب لاهل اليمن من العسل. وقيل هو ماء العنب يُشدخ فيُطرح حتى يغلي والكلمة يونانيَّة اي σαπρίας فحُذفت منها الراء لانها من احرف الذلاقة. وكذا فعل الرومان لان الصَّعف يُسمَّى عندهم (sapa) ولعل العرب اخذوها

١) وعندنا ان أصل قلنسوة ليس ما ذكره حضرة الاب انستاس بل هي لفظة calantica كما ذكرناهُ في كتاب الفروق (ع ٦٧٨). وكذا قُل عن اللفظة الآتية «صومعة» إلَّا إنَّ أصل هذه لا يزال مجهولاً. م.ل

عن هؤلاء وليس عن اولئك(١ ومعنى الصعف عندهم ماء العنب يُشرح ويُطرح حتى يبقى منهُ نصفهُ او ثلثاهُ

(١٣٥ً الصِيرُ) بمعنى الصَحْناة (saumure) او سميكات مملوحة يُعمل منها الصحناة مقطوعة من σαπέρδης وباللاتينيَّة (saperda) بمعناها

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢١ً دخول النصرانيَّة في لبنان (لاحق بسابق)

واوَّل ناسك ورد ذكرهُ في لبنان عاش في عهد القيصر ديوقلسيان واسمهُ إرَسمس وكان مولدهُ في انطاكية العظمى وسُقِّف على مدينة لم يُعرف اسمُها. فلمَّا امتحن ديوقلسيان المسيحيين بالاضطهاد ترك إرَسمس كرسيَّهُ الاسقفيّ وتوقَّل في لبنان وتعبَّد لله في احدى مغاورهِ وبقي على ذلك سبع سنين حتى أَلهمهُ الله ان يعود الى انطاكية ليثبت المؤمنين في الايمان ففعل واستشهد اخيرًا في ايطالية (٢

وكانت مدارس بيروت في تلك الاثناء تنير بتعاليمها العالم الرومانيّ. وكان كثير من النصارى يزدحمون في معاهدها ليأخذوا العلم عن ائمَّتها. اشتهر في جملتهم القديس غريغوريوس صاحب العجائب والقديس اثينودورس في النصف الاوَّل من القرن الثالث. وممَّن اشار اليهم التاريخ في عهد ديوقلسيان شهيدٌ في مقتبل العمر يُدعى افيان اواُمفيان كان اصلهُ من ليقية ودرس في بيروت ثم استشهد سنة ٣٠٥ في قيساريَّة فلسطين ولهُ من العمر ٢٠ سنة فقط (٣ . وفي ايامهِ مات في سبيل الايمان في انطاكية الكاهن

١) ونرجّح انَّ العرب اخذوها عن اليونان لا عن الرومان لانَّ الالفاظ المشتقَّة في اللغة العربيَّة عن اللاتينيَّة قليلة كما بيَّنَّا ذلك مرارًا. واذا دخل شيء منها فلم يدخل الَّا بواسطة اليونانيَّة ل. م

٢) راجع اعمال القديسين البولنديين في ٢ حزيران

٣) راجع اوسابيوس في تاريخ شهداء فلسطين واعمال البولنديين في ٢ نيسان

زينوبيوس وكان اصلهُ من صيداء وقد روى اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٨ ع ٣) انهُ كان طبيبًا وانهُ اتقن الطبَّ حتى برَّز فيهِ

واخذت النصرانيَّة بعدئذٍ تقوى وتنتشر في مدن فينيقية الساحليَّة حتَّى ان الأُسَر الشريفة نفسها صارت تدين بدين المسيح · وقد انبأنا التاريخ بذكر شابٍ بيروتي كريم المحتد اسمهُ بَنفيل كان درس على اشهر اساتذة وطنهِ حتى اضحى نسيج وحدهِ في العلوم الدنيويَّة لكنَّهُ آثر عليها درس الاسفار المقدَّسة فانتقل الى قيساريَّة حيث رُقي الى درجة الكهنوت وانشأ لهُ مكتبة حافلة بالتآليف القديمة · وكان موتهُ استشهادًا سنة ٣١٠ (١)

وفي ذلك العهد ايضًا ألمع التاريخ الى بعض النصارى الذين حكم عليهم المتنصبون بتعدين معادن لبنان · والمرجَّح انهم أرادوا بهذه المعادن مناجم الحديد التي اشتهرت في بعض المعاملات لاسيما البترون وكسروان والمتن الى اواخر القرون المتوسطة · وفي ذكرها بين اعمال الشهداء ما يوقفنا على تاريخ المعادن في لبنان

على انَّ النصرانيَّة لم تلبث بعد هذه المحن ان تنتصر على اعدائها فخرجت ظافرةً ممجَّدةً على يد قسطنطين الكبير ودخلت في طور جديد ولم تزل مذ ذاك في ترقٍ متداوم بينما كانت الوثنيَّة تتقهقر وتهبط حتى درست آثارها وانقشع ظلامها

لكنَّ عبادة الاصنام أبت ان تنكص على الاعقاب دون المدافعة والنزاع · فانَّ الشرك بقي زمنًا طويلًا حتى بعد تنصُّر قسطنطين وربَّما سعى في ردّ غارات دين المسيح · وكان كثيرٌ من عبدةِ الاوثان لم يزالوا يتردَّدون الى هياكل الآلهة الباطلة · وكان سدنتها يُعرفون علانية باسم كهنة الاصنام تدلُّ على ذلك كتابةٌ وُجدت في دوما جاء فيها ذكر كاهن يُدعى كاستور يلقّب نفسهُ بكاهن اله الطبّ اسكولاب وإلهة الصحَّة

وقد اثبتنا في مقالة سابقة عن افقا انَّ قسطنطين الملك دمَّر هيكل الزهرة فيها · والظاهر انَّ الوثنيين انتهزوا الفرصة في عهد يليان الجاحد ليجدّدوا بناء هذا المعبد

---

١) راجع التاريخ الكنسيّ لاوسابيوس (ك ٨ ع ١٣) واعمال القديسين للبولنديين في ١٦ شباط و ١ حزيران وكتاب القديس ايرونيموس في المشاهير (العدد ٧٥)

فانّا نرى عبدة الاصنام في القرن الخامس للمسيح يحجّون اليه لاقامة مناسكهم الدينيّة (١

وان تتبّعنا التقاليد الشائعة في بلاد الشام وجدنا من الآثار ما يعزوهُ اللبنانيّون الى القديسة هيلانة امّ قسطنطين كبعض البروج المبنيّة على ساحل البحر يزعمون انّها اقامتها لتبلّغ ابنها اخبار الاراضي المقدّسة واكتشاف الصليب. الّا أنّنا بيّنّا انّ هذه التقاليد لا صحّة لها (راجع المشرق ٣:٢٨٩) وانّ هذه البروج شُيّدت بعد ايام الصليبيين لمراقبة الساحل وردّ غزوات الفرنج. ولم تك هيلانة لتحتاج الى مثل هذه البروج لمخابرة ابنها مع ما كان لديها من البريد برًّا على السكك الرومانيّة ومن السُفن بحرًا وهي تستطيع ما شاءت ان تراسل ابنها في وقت وجيز. ثم انّ التاريخ يفيدنا عن امّ قسطنطين انّها قدمت فلسطين بحرًا وآبت راجعةً كذلك دون ان تتلبّث في مدن فينيقية وتزور لبنان

وممّا لا شبهة فيهِ انّ الدين النصرانيّ كان فاز السهم المعلّى في الساحل الفينيقيّ في اواسط القرن الرابع مع ما تخلّف فيهِ من بقايا الوثنيّة فضلًا عن جماعة من اليهود كان اكثرسكناهم في بيروت وصيداء. وقد روينا في مقالتنا عن الزلازل في بيروت (المشرق ٢: ٩٧١) انّ عددًا غفيرًا من المشركين طلبوا العماد بعد زلزلة ٣٤٩ لكنّ ارتدادهم كان عن الخوف فعادوا بعد زوال الخطر الى ضلالهم وابدعوا شيعةً خلطوا فيها الدين المسيحي والوثني وابتنوا لهم معبدًا اقاموا فيهِ رتبهم المستهجنة

ولم يمضِ على ذلك زمن يسير حتى اقام الله لكنيستهِ انصارًا اجتذبوا اهل الضلال الى النصرانيّة بامثالهم اكثر منهم بكلامهم. وإنّ هؤلاء الّا النسّاك والحبساء الذين أوَوا الى مغاور ثم الى اديرة اضحت بهمّتهم كمنائر سطع منها ضياء الدين المسيحي فبدّدت ظلام الوثنيّة تمامًا

في مبادئ العيشة الرهبانيّة في لبنان

قال القديس ايرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون (ع ١٤): «لم يعرف احد من اهل الشام ناسكًا قبل هيلاريون» فمن ثمّ يظهر ان إرَسْمُس الذي سبق انا ذكرهُ مات ولم يقتدِ بنسكهِ احد الى عهد القديسين انطونيوس الكبير وهيلاريون وليس

١) راجع مقالة الدكتور ج. روفيه المثونة Le temple de Vénus à Afka, p. 15.16

هذان الناسكان هما اللذان انشأا العيشة النسكيّة في لبنـان كما يروي تقليد بعض اللبنانيين خلافًا للتاريخ الصادق · وزد على ذلك انّ القديس انطونيوس لم يخرج قطّ من القطر المصريّ · والصواب انّ مثلهما حمل نصارى الشام على التشبه بهما

ولا غرو أنّهُ بوشر مذ ذلك العهد بانشاء المحابس في لبنان بيد انّ التاريخ لم يذكر من امرها شيئًا لقلّة اعتبارها · وانما روى اخبار مناسك أخرى تُدعى مندرة (μάνδρα) ومعناها حظيرة الغنم كان العبّاد يجتمعون فيهـا تحت رئاسة بعض اكابرهم يدعونهُ لذلك ارشيمندريتا اي رئيس المندرة · وربمـا كانوا يدعون ايضًا هذه المناسك لورا (λαύρα) او قينوبيون (κοινόβιον) ومعناهما المُنتدى والمجتمع · وكان اسم المندرة شائعًا في مصر وجنوبيّ فلسطين امّا الاسمان الآخران فاشتهرا في سوريةً · ولعل مَندَرة احدى مزارع البقاع بجوار تعنايل اشتقّت اسمها المذكور من دير كان سابقًا بقربها (١

ولو تقصّينا آثار الكتب التاريخيّة لوجدنا ذكر بعض هذه الاديرة القديمة الراقيـة الى اواخر القرن الرابع واوائل الخامس · منها عدلون بين صيداء وصور ليس بعيدًا من صَرَفند · فان فيها عند البحر صخرًا عاليًا حُفر فيه نحو ٢٠٠ كهف · ولعـلّ هذه المغاور كانت في باديء الامر مدافن للموتى ولكن لدينا من الادلّة ما يحملنا على القول انّ الرهبان اتّخذوها لهم مساكن أووا اليها · من ذلك ما ترى فيها من شارات النصرانيّة وفيها صهاريج محكمة الصنع ومراقٍ متقنة يُصعد منها الى طبقات المغاور العليا وتجمع بين القلالي · ومن اعتبر هذه المساكن الغريبة لا يشكّ في انّ الرهبان وحدهم امكنتهم الإقامة فيها ويؤيد ذلك ما دوّنهُ المؤلفون في تراجم بعض الآباء انّهم كانوا يعيشون في المقابر · وهذه المقابر كانت عبارة عن مغاور مختلفـة الكبر اتخذها الاقدمون لموتاهم · والمرجّح عندنا ان عدلون من هذا القبيـل فعسى ان يجد العلماء نصًّا تاريخيًا يزيل عنّا كلّ شبهة في الامر

وليس بمستبعد ايضًا ان الاغوار المنقورة في الصخر في وادٍ مطلّ على بلاد البقاع بقرب قرية فرزل شماليّ زحلة كانت مآوى للسيّاح · يُستدل على ذلك بدلائل عديدة ·

---

١) وكذا دُعيت بعض المدن في اوربًا باسماء الاديرة المجاورة لها مثل موتيار او موستيار Moustier او Moutier في فرنسة ومُنستر Munster في المانية الخ وكلّها مشتقّة من monasterium اي دير

وهذه الكهوف تشبه في ترتيبها مغاور عدلون والاهلون يدعون موضعها الحبيس ويزعمون استنادًا الى تقاليد قديمة انَّ سيّاح القرون الغابرة سكنوها وفي سفح هذه المغاور جدولُ ماء صافٍ يترقرق سائحًا

ومن جملة الاماكن التي يُشار اليها بالشواهد المتنولة أنها كانت في سالف الزمان كمعاهد للرهبان مغارة عند قرية هرمل على مقربة من أكبر رؤوس نهر العاصي. ولهذا التقليد اثرٌ في كتبة القرون المتوسطة كابي الفداء والقلقشندي وغيرهما وهم يدعون هذا المكان باسم مغارة الراهب. والموارنة يدعونها «دير مار مارون». ولا يزال الجبل المطلّ عليها مع الاملاك المجاورة لها خاصَّة رهبان لبنان الانطونيانيين وكان يسكن البعض منهم هذا المكان قبل عهدنا بزمن قليل مع انَّ سكَّان هذه الايالة كلهم من المتاولة. وهؤلاء يعرفون هذه المغاور باسم القصور وما لا ريب فيه انَّ الناس تحصَّنوا فيها سابقًا يُستدلُّ على ذلك بما اقاموه من الابنية في مدخلها للمدافعة عنها فزادوها منعةً على حصانتها الطبيعيَّة

ومغارة الراهب تفوق مغاور عدلون وفزل بمحاسنها. وكانت في الأصل طبيعيَّة سكنتها كما يظهر قبائلُ عاديَّة في الاعصار السابقة التاريخ ولعل هذه القبائل فضَّلتها على سواها لحسن موقعها قرب نهر كبير. ألّا انَّ الخَلَف حسَّنوا عمل الطبيعة وأضافوا اليه منتدياتٍ نقروها في الصخر على احسن هندام مع قبَّة ذات حنيَّة مقوَّسة ودرجٍ داخلي يُصعد منهُ الى الطبقات العليا وبئر عميق الغور يبلغ الى مياه النهر. وكل ذلك منحوت في الصخر الاصمّ

ومن المنازل التي احتلَّتها في العهد القديم نسَّاك لبنان وادي قزحيا والقاديشا. وبقايا العيشة الرهبانيَّة فيهما ظاهرة حتى الآن صبرت على الأيام وتقلُّبات الدهر. وكان بعض الرهبان يعيشون فيهما عيشة عموميَّة فيجتمعون للصلاة والشغل في كهوف واسعة منقورة في الصخر ترى واحدًا منها أكبر من سواهُ في وسط الوادي. وبعضهم كانوا يفضلون العزلة التامَّة فيعيشون منفردين في مغاور صغيرة متفرّقة في جانبي الوادي منحوتة في صخوره منها ما يجري عندها ينابيع صافية ومنها ما يُحدق بها النبات. وكلُّها غاية ما يُرام لعيشة العبَّاد

وفي بهرة وادي قاديشا دير قَنُّوبين تعريب (κοινόβιον) يعزو التقليد المحلي بناءهُ

الى الملك ثاودوسيوس الكبير. والامر ممكنٌ الّا ان النصوص التاريخيَّة لا تفيدنا في ذلك علماً. وعلى رأينا ان ثاودوسيوس منشئ هذا الدير ليس هو القيصر الشهير بهذا الاسم بل احد كبار اباء الطريقة النسكيَّة. وقد عُرف بهذا الاسم في ذلك العهد رجلان عظيمان تكرمهما الكنيسة بين اولياء الله. احدهما ثاودوسيوس الانطاكي انشأ في قيليقية ديرًا كبيرًا والآخر اصلهُ من قپادوقية اشتهر في فلسطين وابتنى ديرًا واسعاً تقاطر اليه الرهبان من كل فجّ وأوب كان بينهم يونان وارمن وصقالبة. ولا جرم بانَّ السوريين واللبنانيين تتلمذوا لهُ ايضاً. وكان ثاودوسيوس المذكور قسَّمهم اقساماً على حسب اصلهم ليسبّحوا الله في لغاتهم المختلفة وساسهم الى ان توفّي في اوائل القرن السادس ولهُ من العمر ١٠٥ سنين. ومن اطلع على ترجمة هذا القديس لا يرى فيها صريحًا انهُ قدم لبنان ولعلَّهُ زار هذا الجبل في رحلتهِ الى مقام سمعان العمودي (١. ولكننا نعلم من تاريخهِ انَّ تلامذتهُ انشأوا اديرةً عديدة في انحاء شتّى. فلا نرانا نتجاوز حدود الحق ان قلنا عن احدهم انهُ احتلّ تنّورين فأسّس فيها ديرًا نسبهُ الناس بعدهُ الى القديس ثاودوسيوس استاذهِ ثمَّ اشتبه الاسم على الخلف فظنّوا انَّ المنشئ هو ثاودوسيوس الكبير الذي اشتهر بتقواه وتذكرهُ الكنيسة اليونانيَّة في عداد قديسيها. وما يؤيد هذا الرأي انّنا نرى الطائفة المارونيَّة تكرم ثاودوسيوس ابا الرهبان اكراماً خصوصيًّا وتعدّهُ بين مشاهير النسَّاك (٢. وهذا لعمري شاهد واضح على انَّ اسمهُ كان دائماً في لبنان (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت قد مُدَّت في وسط الغرفة التي دخلها المقدَّم مائدة الطعام وعليها ألوان واشكال من اللحوم بينها قناني الخمر المعتقة وقد جلس حولها عدد من الرجال والنساء يقهقهون وينطقون بالاحاديث الغير المهذبة

---

١) راجع اعمال البولنديين في تاريخ ١٦ كانون الثاني (ص ٦٨٠)

٢) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ٣٢)

على ان جوسلين لمّا شاهد المقدَّم قد دخل عليهِ في هـذه الحالة من الافراط في المآكل والشراب رغمًا عن ايام الصيام الكبير التي يجب ان ينقطع فيهـا المسيحيون لاماتة الحواس اراد ان يعتذر فصدَّهُ الرجل المجهول باشارة منهُ وقال:

أبيت ان تذهب الى بشرأي فتبرئ نفسك من الشكاوي المرفوعة عليك فجئتُ انا بنفسي لانظر في الامر ولكني اقسم لك انك لن تكون مسرورًا من تنـازلي للحضور اليك

فقال جوسلين وهو يتلعثم في الكلام: لا انكر سيدي اني قد قصَّرتُ وتهاملت ولكن الشؤون والاعمال الكثيرة حالت دون رغبتي. وانت تعلم ان ناحيتنا هـذه قائمة في اطراف البلاد ومكتنفة من كل الجهات بالاعداء فلم يكن يسهل عليَّ مفارقة قصري دون التعرض للاخطار. ولولا وجودي في هذه الظروف والاحوال لكنتُ بادرت من زمان مديد الى بشرأي تقديمًا لواجبات خضوعي واخلاصي وفنَّدت بسهولةٍ كل ما عزاهُ الوشاة اليَّ من الشكاوي والتهم واوضحت براءتي منها لسيدي المقدم ولكن البعدُ جفا والبعيد دائمًا متَّهم

فاجاب المقدَّم رزق الله قائلًا: اني عالم بان الشكاوي المرفوعة عليك هي كلّها اكيدة. فضلًا عن كونك أفسد واردأ رجل مسيحي وصفوهُ لي قد تصدَّيتَ للايتام والارامل وسلبتهم املاكهم وما اكتفيت بهذا حتى تعرَّضت لاوقاف الكنائس والاديار فغصبتها جورًا وظلمًا

فاراد جوسلين ان ينكر ذلك لكن الاب يوحنّا الذي كان في صحبة المقدم افحمهُ باظهار الحقيقة فلم يستطع الّا ان يقول: أردّ كلّ شيء. . . امّا املاك دير القديسة تقلا فكنت اظنها غير ثابتة للدير بصكوك قانونيَّة فغلطتُ وها انا الآن اعوّض عن غلطي وأرجع للدير اضعافها. . .

— يا لك من كذوب. ألم تعتدِ من مدَّة قريبة على شاب مسكين وتسلبهُ حقه. او ما تعلم اي شيء من القصاص تفرضهُ شرائعنا على مثل هذا الاعتداء؟ . والآن أحضر الصبيَّة اليتيمة التي زججتها في سجنك عدوانًا

فهنا صرخ جوسلين وهو يرتعش قائلًا: اعلم يا سيدي انها قد ارتكبت جرمًا كبيرًا. . . قطعت حطبًا من أحراجي

— اذا كانت قد فعلت ذلك فانهُ ذنبٌ لا يستوجب سجناً. وغاية ما يترتب على فاعله جزاء نقدي. ومع ذلك أحضرها لنستنطقها. ألم تعلم اني في الاجتماع الاخير بمدينة بشراي قد قررتُ اخذ جميع الايتام تحت حمايتي

— لم اكن عارفاً بشيء من هذا لاني لم اقدر على حضور الاجتماع المذكور

— كفَّ عن الكذب والخداع فلسوف تعلم اليوم ان العدل ينال الكل. اسرع اذاً بانفاذ اوامري

ولمَّا رأى خدم جوسلين اضطراب سيدهم علموا اخيرًا ان الغريب الذي دخل عليهِ هو المقدم رزق الله المشهورة صولتهُ وعدالتهُ وبادروا في الحال فاحضروا الصبيَّة وكانت صفراء اللون ممتقعة الوجه دامعة العين. فلمَّا وقع بصرها على الاب يوحنا اشرقت على وجهها امائر الفرح واستبشرت بالنجاة: والتفت اليها الامير فرآها بارعة في الجمال كثيرة الادب والحياء. فقال لها: تكلمي يا ابنتي بلا خوف فقد صرت حرَّة وسننصفك ونسلّمك الى من تحبينهُ

وهنا قطع جوسلين كلام المقدم وقال: كنت مزمعاً ان أُخلي سبيلها...

فقالت الصبية: صدق يا مولاي لكنهُ عرض عليَّ شروطاً...

— وما هي الشروط التي طلبها هذا الظالم حتى يفرج عنك؟

فحينئذٍ التحف وجه الصبيَّة بالاحمرار فخفضت بصرها وبعد ان تردَّدت هنيهةً اجابت قائلةً: لا اجسر على بيان الشروط التي تطلب ايضاحها

— اذاً كانت هذه الشروط اثيمةً فما هو جوابك عليها؟ قال هذا مخاطباً جوسلين ولكن جوسلين خرَّ على ركبتيهِ وقد عمي بصرهُ وحلَّ بهِ من الخوف ما لا يوصف وقال:

— لا تعاقب ضمناً بشراً ايها الامير فاني متأهب لكل تعويض تفرضهُ

— نعم انهُ لا بدَّ من التعويض وها انا ارشدك الى الوجه اللازم فاصغِ اليَّ: بما انهُ ليس لك اولاد يرثونك تقيم هذه الصبية وريثة لك فتوصي لها بكل احوالك وسائر املاكك في موقع النبي شيت. أدخلوا كاتب القصر الى هنا

وفي الحال أحضر الكاتب فكتب صكًّا قانونيًّا مستجمعًا لكل الشروط فوقَّعهُ جوسلين وشهد عليهِ المقدم رزق الله والاب يوحنا ثم دفع الصك الى الصبيَّة التي اصابتها الحيرة من هذا الحادث الغير المنتظر. وفي الحال سالت دموعها على وجنتيها وبادرت

الى يدي المقدم رزق الله لتقبلهما فقال لها: هـذا هو التعويض الذي حكم العدل باعطائك اياه

وما كاد يتمّ هذه العبـارة حتى اخرج من تحت عباءته حبلاً قوياً وقال مخاطباً جوسلين :

اذا كان هذا الحبـل لا يضع اليوم حدًّا لحياتك الاثيمة فان ذلك بفضل الاب يوحنَّا هذا الرجل البار القديس الذي شفع بك مع كونك اضطهدتهُ واراد ان يرافقني الى هنا حتى يتأكَّد صفحي عنك فعسى ان لا يندم على هذه المكرمة التي لا تستحقها انت

ولمَّا كان الحاضرون يرتجفون خوفاً ورعدة من هذه الكلمات وقد كاد الدم يجمد في عروقهم خرج المقدَّم رزق الله من الغرفـة فركب حصانهُ ولحق به الاب يوحنَّا وغاب كلاهما عن الابصـار وراء الصخور التي كانت تحجب الطريق المؤدية الى القصر بينما كلّ الذين حضروا المشهد كانوا مقيمين في اماكنهم كأنهم تسمَّروا بها تسميرًا

١٢

وكان بعد مرور بضعة اسابيع ان الزروع في سهول البلاد واعاليهـا أخذت تصفرُّ متهيئةً للحصاد . اما اهالي لبنان فكانوا جميعاً جذلين ومحبورين بحكومة المقدَّم الجديد ومساعيهِ في تعميم العدل على الرفيع والوضيع والغني والفقير وكان الاجتماع الذي عقده في قصره قد بدأ وتنتذِر بان يُعطي ثمراته . غير ان تلك الحال لم يكن ممكناً دوامهـا طويلًا لان الانسان لا يقدر ان يقوم في شهر أودًا استمرَّ قرونًا وادهـارًا . فكان انهُ لما عاد المقدَّم رزق الله من جبل اللكام الى مقرّ ولايته اجبرتهُ الظروف على قتـال بعض اعداء ملَّتـهِ الذين هبَّ لنجدتهم جم غفير من اوباش الناس المقيمين في بلاد بعلبك (١

اما جوسلين فعندما عرف الخبر ورأى ان الحرب قد شغلت مولاهُ عن الاهتمام بامور الحكومة عمـد ان يعود بالحيلة الى ما كان قد اجبرهُ الخوف على تركهِ . فجمع بعضاً من الرهبان اليعاقبة الذين ابعدهم المقدم رزق الله عن لبنان وادخلهم في حمايته مثل موسى بن عطية والقس نوح البقوفاوي الذي كان قبلًا مقيماً بالفريديس في ارض

١) اخبار الاعيان ١٦٦

بان وعيسى وابن شعبان من قرية حردين وموسى واخيه يوحنا ولدي ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي وجرجس من لحفد وموسى من قرية موسى وغيرهم ممن رقبهم ديوسقورس الاسقف اليعقوبي (٢

ولم يحمل جوسلين على ذلك لا تعصُّب ديني ولا اقتناع بصحة البدعة اليعقوبية لانهُ لم يكن يهتم الّا بصوالحهِ ومنافعه الخصوصية بل اراد ان يستخدمهم في غاياته الفاسدة لعلَّهُ يستطيع يوماً ان يدرك بواسطتهم ثاره من رئيس دير القديسة تقلا. ولما كان المذكورون يعلمون ان ابعادهم من لبنان كان خصوصاً بتحريضات الرئيس الموما اليهِ لم يكن من الموجب لحثهم على معاونة جوسلين لانهم بقضاء وطره يدركون هم ايضاً مأربهم

ولذلك كان جوسلين يقول انهُ اذا قدر على شفاء غليله من الاب يوحنا يملكهم دير حصن سليمان فكان طمعهم في امتلاك هذا الدير الغني مع بغضتهم للديانة الكاثوليكية ورغبتهم في اخذ الثار يدفعهم الى اختراع كل الوسائل الممكنة لاهلاك هذا الرجل القديس

وكان اصعب شيء لديهم ان يجدوا سبباً واضحاً يسوّغ لهم في الظاهر انزال الانتقام بين ابغضوه لانهم ما كانوا يريدون فقط ان يميتوا ضحيتهم بل ان يشنعوا صيتها وسمعتها ايضاً

وفي ذات يوم وقد انتصف النهار وجلس جوسلين في الردهة الكبرى من قصر القليعات يحفُّ بهِ الرهبان اليعاقبة السابق ذكرهم أُدخل اليهِ الاب يوحنا مكتوفاً مهاناً وكان قد ارسل رجاله الى الدير فاتوا بهِ عنوة لاجل محاكمتهِ امام قضاة جائرين لا يريدون حقًّا بل انتقاماً يلبسونهُ ظاهر الحق. وكان في الدير راهب من الاخوة اسمهُ جناديوس قد تضايق من القوانين الرهبانيَّة التي كان الرئيس يحافظ عليها كثيرًا. فهذا أغراه جوسلين بالمال والوعود الحسنة فأخذ يتهم الاب يوحنا انهُ كان يتظاهر كذبًا ونفاقاً بالاصوام والصلوات والاماتات ويعيش في السرّ عيشة شهوانيَّة فاسدة. ثم اتهمهُ بانهُ رئيس ظالم يعامل مرؤوسيه بالقساوة ولا يعرف الشفقة على الفقراء وغاية ما يهتمّ بهِ حشد الاموال توسيعاً لدائرة املاكه

٢) الدويهي ١٤١

وكان في وسع الاب يوحنا ان يريهم لثتهُ البيضاء ويستشهد على حسن سيرته بجميع اخوانه الرهبان وسائر اهالي الناحية. وكان يستطيع ايضًا ان يُخجل الراهب جاديوس ببيان رذائله وعيوبه ويذكّره بالسماحات المتواترة التي تعطّف بها عليه ويطلب منهُ ان يدل على الاموال التي حشدها. وكان في الحقيقة قد انفقها كلها على الفقراء غير انهُ أبى ان يقول شيئًا من ذلك بل فضل السكوت والصمت تشبُّهًا بمعلمه الالهي لمّا وقف امام هيرودس. واخيرًا لمّا الحّ عليه قضاة الظلم ان يحتجّ عن نفسه قال هكذا:

اني قد اقترفت خطايا كثيرة ولكني في الحقيقة لم آتِ شيئًا مما شكيت به

فقال القضاة: أتقرّ اذًا بجريمتك وتعترف بعجزك عن رد التهم المنسوبة اليك؟

— لا ازيد شيئًا على ما قلتهُ فافعلوا بي ما بدا لكم

وفي الحقيقة لم يكن ليجديه الدفاع نفعًا لانهُ لم يكن قادرًا على ان يُحضر الى تلك المحكمة الظالمة شهودًا يبرّئونهُ لا الفقراء الذين اسعفهم بالسرّ ونشلهم من وهدة الحاجة ولا المرضى الذين شفاهم ولا الاموات الذين دفنهم ولا مرؤوسيه الرهبان الذين يعرفون طويته وتقواه وقداسته امام الله تعالى. وفضلًا عن ذلك فقد كان عارفًا بان قضاتهُ مصمّمون على الحكم عليه فمحاولة الدفاع عن نفسه عبارة عن اهتمامه بامر لا طائل تحته. اما تلك المحكمة فانها حكمت باتفاق الآراء بجريمته واسقاطه من مقام الرئاسة والقضاء عليه بالسجن المؤبد

وكان على مسافة ثلاث ساعات من شرقي قلعة مصياد مركز صولة الشيعة الاسماعيليّة كنيسة قديمة مشيدة على سطح الجبل. ولم يبقَ اليوم منها سوى حيطانها الخارجيّة مع قسم من الدهليز لان القبة قد انقضّت والعمد انقلبت فامتلأ من حطامها صحن الكنيسة حيث نبتت بعض اشجار من التين والدوالي البريّة والسنديان وغير ذلك

وكان على شمال الكنيسة سلسلة من البيوت الصغيرة بُنيت كلها على هندسة واحدة اي ان العتبات العليا مع الملابن كانت جميعها من حجر واحد وقد نقش على كل عتبة في ضمن دائرة رسم صليب. وكل بيت من هذه البيوت لا يدخلهُ الهواء ولا النور الّا من نافذة صغيرة في اعلاه ومجموع هذه الخرب يدعى دير الصُّلَيب (١). والحق يُقال انهُ

١) مجلة الشرق المسيحي ١٩٠٠

كان ديرًا او مجموعةً من القلالي يرتقي تاريخها الى العهد البيزنطي . امَّا الكنيسة التي كانت قائمةً في القرن الخامس عشر فانها كانت قد أُهملت قبل هذا التاريخ بزمان كما ان الرهبان لمَّا رأوا نفوسهم معرضين كل ساعة لغزوات البدو والشيعة الاسماعيلية هجروا قلاليهم التي ما عادت تصلح بعدهم الَّا ملاجئ لرعاة الماشية وقت الامطار

فالى هذا المكان الذي تقدَّم وصفهُ نقل جوسلين الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا موقنًا ان لم يمت جوعًا لا بد ان يموت بايدي البدو وهكذا يخلص منهُ

واقام الاب يوحنا هناك اياماً عديدة لا يقتات بغير اثمار من التين يقطفها من الاشجار التي كان الرهبان القدماء قد غرسوها في دير الصُّلَيب . وكان من وقتٍ الى آخر يأتيه بعض الرعاة الذين في جيرة المحل برغيف من الخبز وكأس من اللبن لانهُ كان يشفق عليهِ اذ يراه شيخاً كبيرًا اصفر اللون ناحل الجسم . غير ان ذلك لم يكن يجري الَّا نادرًا لان جوسلين كان اوصى التركمان المقيمين في مزرعة الحمام القريبة من هناك ان يحافظوا على عدم مخالطة الشيخ المنفي لاحد . وقد قاموا بما اوصاهم بهِ حق القيام ولولا اعتياد الاب يوحنا الاصوام الطويلة لكان مات جوعًا (ستأتي البقيَّة)

عيد البشارة

نبذة في قدم هذا العيد وبعض ما يلحق بهِ

لحضرة الاب الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش من مرسلي الكريم

لقد تفرَّد القديس لوقا بين الانجيليين بوضوح العبارة في كلامهِ على سرّ البشارة ولذا جزم المفسّرون بانهُ تلقَّى عن مريم البتول نفسها تفاصيل ظروف هذه المعجزة التي تفوق طور العقول . وليس من غرضنا الآن ان نأتي بشرح وافٍ عمَّا يختص بهذه العقيدة بل جلُّ قصدنا من هذه المقالة ان نبحث تاريخيًا عن قدم هذا العيد في الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة ثم عن يوم الاحتفال بهِ والمكان الذي تمَّ فيهِ سرّ البشارة

١ قدم هذا العيد

ذهب البولنديون ووافقهم البابا بنادكتوس الرابع عشر على ان هذا العيد يرتقي الى ايَّام الرسل ولكن هذا القول ردَّهُ بعض من العلماء واستصعبوا الجزم بهِ لزعمهم ان

الكنيسة مكثت حقبةً طويلة في الاجيال الاولى تقتصر على الاحتفال باعياد قليلة كعيد القيامة المجيد وعيد البنديكستي اي حلول الروح القدس. غير انهُ قد تقرَّر لدى العلماء الآن انَّ البشارة من اقدم الاعياد البيعيَّة. وما لا شبهة فيهِ أنهُ كان يعمّ الكنيسة شرقًا وغربًا منذ اوائل الجيل الخامس بل سبق ذكرهُ قبل ذلك في تآليف الاباء. منهم القديس غريغوريوس العجائبي (١ الذي اشتهر في اواسط القرن الثالث فانَّ في مجموع اعمالهِ ثلاث خطب عن بشارة الملاك للبتول نُسبت لهُ ولا شكَّ في أنها قديمة جدًا. ومنهم القديس بروكلس (٢ تلميذ يوحنا فم الذهب واحد خلفائهِ على كرسي القسطنطينيَّة ففي خطبتهِ الخامسة يتكلَّم باسهاب على بشارة الملاك للبتول. واستنتج العلماء انهُ فسَّر اقوال الانجيل على الشعب يوم عيد البشارة اذ صوَّب غرضه بنوع خاص الى هذا الموضوع وافتتح كلامه مصرحًا بان حفلة ذلك اليوم دعتهُ الى الكلام في شانهِ

وممَّا يؤيد ايضًا ما تقدَّم خطبة باسيليوس السلوقي رئيس اساقفة السويدية (٣ فانهُ في الخطبة الـ ٣٩ من خطبهِ يتكلَّم عن بشارة الملاك لمريم ويثبت كونها امَّ الله ولولا ضيق المجال لكنا نأتي بفقر مشبعة من خطب هؤلاء الافاضل

ثمَّ ان القديس افرام شماس الرُّها الذي ولد سنة ٣٢٠ وتوفي سنة ٣٨٩ قد الف ميمرًا على هيئة محاورة بين مريم والملاك. وهو مثبت في اخر صلوة الفرض الذي ترتلهُ كنيستنا المارونيَّة في تذكار هذا العيد ويفتتح الكلام (٤ بابتهال خاشع الى قوة الابن الذي حملهُ الحبّ على ان يحلَّ في حشا مريم طالبًا ان يهبه نطقًا وكلامًا وافيًا ليحسن الكلام

١) راجع أعمال الاباء اليونان لمين (المجلد ١٠ ص ١١٤٣–١١٧٣)

٢) ولد سنة ٣٩٠ وسُقِّف على قسطنطينية سنة ٤٣٤ وتوفي سنة ٤٤٦ وقد جُمعت خطبهُ في مجموع اعمال الآباء اليونان وهي تبلغ ٢٢ خطبة (راجع المجلد ٣٥ لمين ص ٣٤٢)

٣) ارتقى الاسقفية سنة ٤٤٠ وحضر مجمع قسطنطينية سنة ٤٤٨ ورذل مع الآباء تعليم اوطيخا. غير انهُ في السنة التالية لمَّا حضر مجمع افسس اللصّي حكم بتحريل فلافيانوس خوفًا من ديوسقوروس. ولمَّا التأم المجمع الخلقيدوني انطرح على اقدام الآباء طالبًا مغفرة عن زلتهِ فقبلهُ الآباء في شركة الكنيسة وتوفي شيخًا على ما يُظن سنة ٤٥٨ ويُنسب لهذا الاسقف ما عدا خطبهُ ترجمة القديسة تقلا اولى الشهيدات

٤) [illegible]

في هذا الموضوع ثم يصف امر الاب للابن كي ينحدر لخلاص جبلتهِ ثم أمره لجبرائيل بان يذهب لبشارة مريم. ثم يتفنَّن بفصاحتهِ المعتادة في تاليف المحاورة بين البتول والملاك وبعد الجدال وتسليم البتول بقولها « انا امة الرب »: يقول الملاك: ارفعي رأسك ايتها البتول وليطرب جنانكِ فرحًا ايتها العذراء لان بكِ السماء تنفتح والارض بابنكِ تنتعش (١. ثمَّ تعود البتول الى الجدال مع الملاك عن سبب تفضيلهِ اياها على غيرها مع ان العالم مملوءٌ من بنات الملوك الى غير ذلك من المعاني الجليلة والتصوُّرات الخاشعة.

وقد ضمَّن اكثر هذه التصوُّرات السعيد الاثر البطريرك يوسف اسطفان في رتبة الميلاد التي الَّفها بطريقة مسهبة واختصرها المطران نتولا مراد عندما طبع كتب رتبنا في رومية. وقد وقعت تحت يدي النسخة الاصلية بخط المؤلف من مدة قصيرة. فاذا بها تختلف عن الرتبة المطبوعة فانهُ يورد بين كل طلبة قطعة من ميامر القديس افرام نهمل ترتيلها الآن. وقد جاء ايضاً ذكر هذا العيد في تآليف بعض الآباء كالقديس اثناسيوس الاسكندري والقديس يوحنا فم الذهب والقديس كيرلُّس الاسكندري وغيرهم ممَّن يطول بنا ذكرهم. ولكلهم خطب وميامر تدل على قدم الاحتفال بهذا العيد الشريف وانهُ ان لم يرتقِ الى عهد الرسل فهو بلا مشاحة قريبٌ الى زمانهم

٢ في يوم حفلة هذا العيد

هلمَّ بنا الآن نبحث عن مسألة أخرى في صدد عيد البشارة اعني يوم حفلة هذا العيد. وبديهيٌّ انَّ الكنيسة جمعاء تحدد ذكرهُ اليوم في ٢٥ آذار. فهل يا ترى لذلك سبب او هو مجرَّد اصطلاح اتفقت عليهِ الكنيسة ؟

جوابنا ان بين هذا العيد وعيد ميلاد الرب علاقةً واضحة فانَّ يوم ميلاد المسيح واقع كما لا يخفى في ٢٥ كانون الاول فترتَّب وقوع عيد البشارة في ٢٥ آذار ليكون بين العيدين تسعة اشهر وهو الوقت اللازم ليتمَّ حمل البتول بابن الله الكلمة قبل ان تلدهُ. وان قيل وهل من ادلَّة على انَّ المسيح لذكرهِ السجود وُلد في ٢٥ كانون الاول اجبنا انَّ للكنيسة في ذلك تقليدًا متواترًا يتصل بعهد الرسل كما بيَّنهُ المشرق (١ : ٣٣٣) في ردّهِ على الهلال فلا حاجة الى التكرار

١) ܬܪܝܡܝ ܪܝܫܟܝ ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ ܘܢܕܘܨ ܠܒܟܝ ܐܘ ܥܠܡܬܐ ܕܒܟܝ ܫܡܝܐ ܡܬܦܬܚܝܢ
ܘܐܪܥܐ ܒܒܪܟܝ ܡܬܢܥܫܐ

على أننا نجد في الآثار البيعيَّة شواهد صريحة على احتفال الكنيسة بعيد البشارة في ٢٥ آذار منها التقاويم الكنسيَّة القديمة في الطوائف الشرقيَّة وال[illegible]ة. ومنها نصوص بيِّنة وردت في التاريخ القديم وفي اعمال الآباء.

قال القديس اوغسطينوس في الفصل الخامس من ك[illegible]ك بقولهِ من شاهد جليل:

« أنهُ لامرٌ ثبتٌ بأنَّ المسيح حُبِـل بهِ في ٢٥ آذار كما تروي الكنيسة ذلك مستندةً الى شهادة الاقدمين (١ »

وقد جاء مثل هـذا القول في خطبة القديس غريغوريوس الكبير الحبر الروماني في عظتهِ عن بشارة البتول. وكذا ورد في الكرونيكون الاسكندري قال: « وفي ٢٥ آذار على حسب تاريخ الرومان تعيِّد الكنيسة الكاثوليكية الرسولية وفقًا لتقليد الآباء عيدَ بشارة الملاك الى العذراء الطاهرة والدة الله » (٢

ويؤيد ايضًا ذلك انَّ ميلاد يوحنا المعمدان واقع في ٢٤ حزيران وفقًا لتقليد شائع في كل الكنائس فيكون بينهُ وبين عيد البشارة ثلاثة اشهر ويصحُّ بذلك قول الملاك للعذراء مريم (لوقا ١: ٣٦) عن حبل اليصابات: « وهذا الشهر السادس لتلك المدعوَّة عاقرًا »

٣ ذكر المكان الذي تمَّ فيهِ سرّ البشارة

بقي الآن ان نبحث عن المكان الذي قبلت فيـهِ البتول البشارة ونشفع ذلك بلمحة تاريخيَّة عن بيت الناصرة. ان قول لوقا الانجيلي يدلُّ صريحًا بان مريم كانت مخطوبة لرجل اسمهُ يوسف وان الملاك أُرسل الى الناصرة. غير ان قول الانجيلي « الى الناصرة » لا يفي بالمقصود تامًا فالبعض يذهبون الى ان الملاك حيَّا البتول اولًا بالقرب من عين ماء حيث كانت تستقي وانهُ لم يبشرها بالحبل الَّا بعد رجوعها الى منزلها وقد بنى الروم كنيسة على اسم الملاك جبرائيل عند العين المذكورة ولكن ليس دليلٌ

(١ Christus sicut a majoribus suscipiens Ecclesiæ custodit auctoritas, octavo kalendas Apriiis conceptus creditur (l. IV *de Trinitate* c. 5)

٢) الَّا ان المجمع الطليطلي في اسبانية امر سنة ٦٥٧ باقامة هذا العيد في ١٨ كانون الأول خلافًا لبقية الكنائس. وكان سبب نقلهِ لهذا اليوم انَّ عيد البشارة كثيرًا ما يقع في الصوم وربما وقع في جمعة الآلام فلا يمكن الاحتفال بهِ كما يليق

راهن على صحة هذا التقليد وكلام الانجيلي لا يشعر مطلقاً بانهُ حياها خارجاً عن منزلها بل جاء في آية لوقا (١ : ٣٨) : فلمَّا دخل اليها الملاك . والتقليد الراهن الآن بعد الاكتشافات التي اجراها الفرنسيكان في بستانهم من بضع سنوات ان محل منزل البتول هو داخل ديرهم . ولافادة القرَّاء نلخص عن معجم الخوري مين « في الزيارات المقدسة » تاريخ المنزل المقدس وما جرى عليهِ من الحوادث الى تاريخ نقلهِ باعجوبة الى دلماتيا ومنها الى لوراتّا حيث هو الآن . وملافاةً لضجر المطالع نكتفي ببعض الافادات ونحيل القرَّاء الى مروج الاخبار وفيهِ كلام مسهب بشأن شهادة علماء الآثار في ذلك العصر الذين أرسلوا الى الناصرة لتحقيق الاعجوبة

نقول انهُ في السنة ٧١ للتاريخ المسيحي اجتاح الرومانيُّون اليهوديَّة واستسلموا للنهب والقتل فاصبحت اليهوديَّة ميدان حرب سالت فيهِ الدماء انجراً واصاب مدينة الناصرة مصاب غيرها من المدن فاصبحت خربةً حقيرة كما شهد القديس ايرونيموس وهو شاهد عياني . غير انَّ المؤمنين ما زالوا يعرفون الاماكن التي تمت فيها اسرار فدانا ويكرمونها بالزيارات المتواصلة . فلمَّا ان هدأ الاضطهاد وظهر قسطنطين شيَّدت امه القديسة هيلانة الكنائس في الاماكن المقدسة ولم تهمل الناصرة فبنت فيها هيكلاً عظيماً وحفظت داخله منزل البتول واتبعت في بنائهِ الهندسة التي اتخذتها في بناء كنيسة القبر المقدس . وقد شهدت الاكتشافات التي جرت في المحل المذكور في الجيل ال ١٧ لما اراد الآباء الفرنسيكان بناء هيكل جديد واكتشافاتهم التي أجروها مؤخَّراً ان الاطلال هي من هندسة الجيل الرابع (اي من العهد الذي شيدت فيهِ القديسة هيلانة هذا المعبد) وممَّا يؤيد هذا القول انهُ من الجيل الرابع وبقي الى سنة ١٢٦٣ التي خرب فيها هذا البناء سلسلةٌ غير منفصلة من التقليد حفظها لنا الزوار المشهورون الذين زاروا هذا المكان حسب تاريخ ازمنتهم وكلهم بمنزلة سحابة من الشهود يشهدون لما نحن في صدده

ففي الجيل الخامس القديستان بولا واستاكيا المشهورتان الوارد ذكرهما مراراً في كتابات القديس ايرونيموس . وفي الجيل السادس انطون دي بليزَنس المعروف بالشهيد يظهر الدهشة من جمال وعظمة هندسة البناء . وفي الجيل السابع اركولف (Arculfe) . وفي الجيل الثامن يوحنا الدمشقي . وفي الجيل نفسهِ يخبرنا القديس وليباند (Willibald)

ان الاعداء تهددوا بهدمهِ وان المسيحيين دفعوا لهم مبلغاً فعدلوا عن مقصدهم. وفي الجيل التاسع يوحنا كاليبيت (Calybite). وفي الجيل ال ١٢ يوحنا فوكاس ثمَّ تنكراد. ولما ان حاصر الافرنج اورشليم كان البناء قائماً فاصابه النهب ولم يُنقَض بل زاد الافرنج في رونق بهائهِ كما يشاهد الآن من الآثار الباقية في ساحة دير الآباء الفرنسيكان. وفي الجيل ال ١٣ القديس فرنسيس الاسيزي والكردينال يعقوب دي ڤيتري (Vitry) بطريرك اورشليم الذي احتفل باقامة الذبيحة هناك يوم عيد البشارة سنة ١٢٢٨ وقال فوقاس ما ملخصه: « وفي الناصرة المنزل الذي قبلت مريم فيهِ البشارة ». وقال الكردينال: « انهُ احتفل مراراً باقامة الذبيحة في البيت حيث بشر الملاك مريم » ومن هذه العبارة يُفترَض وجود البيت داخل الكنيسة على مثال ما توضع ذخيرة ثمينة داخل صندوق

وسنة ١٢٥١ زار هذا المعبد القديس لويس ملك فرنسة وتقرب هناك يوم عيد البشارة (١ وبعد عشر سنوات اي سنة ١٢٦٣ هدم هذه الكنيسة الشهيرة ملك من دولة المماليك في مصر. امَّا البيت المقدس فنُقل باعجوبة باهرة الى دلماتيا سنة ١٢٩١ وتاريخ الانتقال مع ما جرى من الدقّة في البحث عن صحّة الاعجوبة قد دوَّنهُ صاحبُ في مروج الاخبار في العاشر من كانون الاول

ونكتفي بايراد شهادة رجل شرقي عُرف بقداسة السيرة والصدق ذكرهُ المؤرخ مرتورللي وهو جرجس بنيامين الماروني اسقف اهدن الذي تنزَّل عن الاسقفيَّة ودخل اليسوعية سنة ١٧١٤. فهذا الحبر شهد انهُ لمَّا كان بعد اسقفاً زار مراراً الناصرة ومكان المنزل المقدس وانهُ في ٣٠ ايلول سنة ١٧٣١ زار معبدَ لوراتا وشاهد الحجارة فوجد ان هيئتها وطبيعة تركيبها ونوعها يتفق اتفاقاً تامّاً من كل الاوجه مع الحجارة التي رآها بعينهِ في الناصرة. واقسم يميناً على ما قرَّر وامضى بخط يدهِ شهادة على صحّة اقرارهِ في ٣١ ايلول سنة ١٧٣١

كفى بما اوردناه برهاناً على قدم العبادة لمريم البتول والاحتفال باعيادها وحكمة الكنيسة وترويها في اثبات المعجزات بعد البحث الدقيق كما يظهر جليًّا لمن طالع مروج الاخبار ويظهر من ثمَّ ان عبادة مريم البتول نشأت مع الكنيسة ولا تزال حيَّة معها.

١) راجع تاريخ فرنسة للعلّامة دانيال

كانت في الكنيسة في ظلمات الدياميس كما يرى في معبد القديسة بريشلا من التماثيل الدالّة على قدم تكريمها وظهرت للملا بعد ان خرجت الكنيسة منتصرةً على اعدائها وستثبت مع الكنيسة مدى الدهر

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ١٤٠)

الفصل الرابع (١

في وضع مطلق الحروف

قيل انّ اوّل من وضع الخطوط والكتب كلّها آدم (عم) كتبها في طينٍ وطبخهُ (٢ وذلك قبل موتهِ بثلاثمائة سنة . . . وقيل اخنوخ وهو ادريس (عم) وقيل أنها أُنزلت على آدم في احدى وعشرين صفيحة. وقضيَّة هذه المقالة أنها توقيفيَّة علّمها الله تعالى بالوحي. والمقالتان الأوليان محتملتان لأن تكون توقيفيَّة وان تكون اصطلاحيَّة وضعها آدم او ادريس (عم) على انهُ يُحتمل ان يكون بعض ذلك توقيفي علّمهُ الله تعالى بالوحي وبعضهُ اصطلاحي وضعهُ البشر واحدًا وجماعةً فيصير الخلاف فيهِ كالخلاف في اللغة هل هي توقيفيَّة او اصطلاحيَّة على ما هو مقرَّر في . الاحوال والله سبحانهُ وتعالى اعلم

الفصل الخامس

في وضع الحروف العربيَّة

. . . جاء عن ابن عبَّاس (رَض) انّ اوّل من وضع الحروف العربيَّة ثلاثة رجال من بَولان قبيلة من طيّ نزلوا مدينة الأنبار وهم مُرار بن مرَّة واسلم بن سدره وعامر

---

١) فضّلنا ان نقسم هذه النخبة الى فصولٍ ليسهل على القارئ مراجعتها. امَّا في «كتاب صبح الاعشى» فللتقاسيم اسماء عديدة كالجمل والطرف والمسالك والاصول والفصول وغير ذلك ممَّا يضيع فيهِ القارئ

٢) الكتابة على الآجرّ كانت شائعة في بلاد بابل واشُّور. وقد اكتشف منها المدقّون عددًا لا يحصى منها ما يرتقي عهدهُ الى نحو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح

ابن حدرة (١ اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة ثمّ قاسوها على هجاء السريانيّة. فامّا مرار فوضع الصُور. وامّا أسلم ففصل ووصل. وامّا عامر فوضع الإعجام. ثمّ نُقل هذا العلم الى مكّة وتعلّمهُ من تعلّمهُ وكثر في النـاس وتداولوهُ. ونقل الجوهريّ عن شرقيّ بن القطـاميّ انّ اوّل من وضعهُ رجال من طيّ منهم مرار بن مرّة وانشد عليه:

تعلّمتُ باجاد وآل مرامرٍ ٢) وسوّدتُ اثوابي ولستُ بكاتبِ

قال الجوهريّ: وانّما قال «آل مرامر» لأنهُ كان قد سمّى كلّ واحدٍ من اولاده بكلمة من ابي جاد (يريد الحروف الابجديّة) وهم ثمانية. وذكر غيرهُ نحوهُ فقـال: «اوّل من اخترعهُ والّف حروفهُ ستّة اشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن ادَد وكانت اسماؤهم ابجـد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت (٣ فوضعوا الكتابة والخطّ على اسمائهم فلمّا وجدوا في الالفاظ حروفاً ليست في اسمائهم ألحقوها بهـا وسمّوها الروادف وهي الثاء المثلّثة والخاء والذال والظاء والغين والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجمّل. ثمّ انتقل عنهم الى الانبار واتصل باهل الحيرة وفشا في العرب ولم ينتشر كلّ الانتشار الى ان كان المبعث». وعن هشام بن محمد عن ابيه قال: اخبرني قومٌ من علماء مصر انّ اوّل من كتب الكتاب العربيّ رجل من بني النضر بن كنانة فكتبتهُ العرب حينئذٍ. وقضيّة هذه المقالات انّها اصطلاحيّة..

ثمّ اول ما ظهرت الكتابة العربيّة بمكّة من قِبَل حرب بن اميّة... قيل لابن عبّاس: من اين تعلّمتم الهجاء والكتاب والشكل. قال: عَلّمناهُ حربُ بن اميّة. قيل:

---

١) وردت هذه الاسماء الثلاثة في كتب العرب على هيئات مختلفة. قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص٢٢٢): «علّم (بشر بن عبد الملك اخو أُكَيدر صاحب دومة الجندل) خطّنا هذا اهل الانبار وكان اسمهُ الجَزم وتعلّمهُ من مُرامر بن مرّة واسلم بن جَزَرة». وجاء في ذيل الكتاب «قال الشرقيّ بن القطاميّ اول من كتب بخطّنا هذا سامة بن جَدَرة قالهُ الامير». وروى ايضاً: «عامر بن جدَرة». وجاء في كتاب النعمة في علم الخط للمفتي (من مخطوطات مكتبتنا الشرقية ص١٠): «انّ اوّل من وضع الحروف العربيّة ثلاثة رجال من يولان (كذا والصواب بَولان) نزلوا مدينة الانبار وهم مراد (كذا) بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر (كذا) بن حدرة»

٢) كذا. وفي صحاح الجوهري (طبعة بولاق) رُوِي: آل مرامر. ونظنّهُ الصواب

٣) ليس هذا القول ثبتاً فانّ حروف المعجم العربيّة مأخوذة من لغات أُخر ساميّة سبقتها. وتجد هذه الحروف في الفينيقيّة والعبرانيّة والكلدانيّة القديمة والسريانيّة الخ

ومن اين عَلِمهُ حرب بن اميَّة . قال : طارئ طرأ علينا من اليمن . قيل : من اين علمهُ ذلك الطارئ . قال : كانت بالحيرة [illegible] (عم)

وذكر ابو عمرو الداني في كتاب التنبيه [illegible] نحوهُ . وقال اول ما ظهر [illegible] باليمن من قبل ابي سفيان بن امية [illegible] سفيان بن حرب . واتتهُ من قبل رجل من اهل الحيرة . قال اهل الحيرة : اخذناها من اهل الانبار . [illegible] من حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلّم بشر بن عبد [illegible] وخرج الى مكّة وتزوَّج الصهباء (١ بنت حرب . وقيل أنهُ لما تعلّم ابو سفيان بن حرب الخطّ من ابيه [illegible] عمر بن الخطاب (رض) وجماعة من قريش وتعلّمهُ معاوية بن ابي سفيان من عمهِ سفيان .

امَّا الاوس والخزرج فقد روى الواقدي بسندهِ الى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربيَّة قليلًا في الاوس والخزرج وكان يهوديّ من يهود ماسكة (٢ قد علمهُ فكان يعلّمهُ الصبيان فجاء الاسلام وفيهِ بضعة عشر يكتبون . منهم سعيد بن زُرارة والمنذر بن عمرو وأُبيّ بن كعب ومعن بن عديّ وابو عبس بن كبير واوس بن خولي وبشير بن سعد . قال صاحب الابحاث الجميلة في شرح العقيلة : والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنهُ استُنبطت الاقلام التي هي الآن (٣ . وقد ذكر ابن الحسين في كتابهِ في قلم الثلث انَّ الخط الكوفي فيهِ عدَّة اقلام مرجعها الى اصلين هما التقوير والبسط . [illegible] بالليّن وهو الذي تكون عراقاتهُ (كذا) وما في معناها منخسفة منحطَّة الى اسفل كالثلث والرقاع ونحوهما . (والمبسوط [illegible] هو المعبر عنه الآن باليابس وهو ما لا انخساف ولا انحطاط فيه كالمحقّق . وعلى ترتيب هذين الاصلين الموجودة الآن . ثمَّ قد ذكر صاحب اعانة المنشي انَّ اول ما نُقل الخط العربي من [illegible] الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن في اواخر خلافة بني أُميَّة واوائل خلافة بني عباس

١) وروى ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٢) : الضّنياء . وورد في ذيل الكتاب : انها الصُنَيَّا بنت الحارث بن حرب وانَّ امها صفيَّة

٢) نظنّ الصواب « ماسخة » من بطون الازد

٣) وقد وجد العلماء في زماننا خطوطاً عربيَّة سبقت الخط الكوفي . ولعلنا نعود الى هذا المبحث الجليل

قلتُ على ان [illegible] زماننا يزعمون انَّ الوزير ابا علي بن مُقلة هو اوّل من [illegible] وهو غلط . فانّا نجد من الكتب بخطّ [illegible] المتين ما ليس على صورة الكوفي بل يتغيّر عنهُ نحو هذه الاوضاع المستقرَّة وان كان هو الى الكوفي أميل لقربهِ من نقلهِ عنهُ . قال ابو جعفر النحّاس في صناعة الكتّاب : يقال انَّ جودة الخطّ انتهت الى رجلين من اهل الشام يقال لهما الضحّاك واسحاق بن حمّاد وكانا يخطّان الجليل (وكأنهُ يريد الطومار او قريباً منهُ) . قال صاحب اعانة المنشي : وكان الضحّاك في خلافة السفّاح اوّل خلفاء بني العبّاس واسحاق بن حمّاد في خلافة [illegible] والمهدي . [illegible] الشحري) عن اسحاق بن حمّاد الجليل واخترع منهُ قلماً اخفّ منهُ سمّاه قلم الثُلثَين وكان [illegible] بهِ . ثم اخترع من قلم الثلثين قلماً سمّاه قلم الثُلث . قال صاحب الابحاث الجميلة : واخذ يوسف [illegible] الشحري القلم الجليل عن اسحاق ايضاً واخترع منهُ قلماً ارقَّ منهُ وكتبهُ كتابة [illegible] ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون وامر ان تُحرَّر الكتب السلطانية [illegible] غيره وسمّاه قلم الرئاسي . قال بعض المتأخرين : واظنهُ قلم التوقيعات . قال النحّاس : ثمَّ اخذ [illegible] عن ابراهيم الشحري الثُلُثين والثلث واخترع منهما قلماً سمّاهُ قلمَ النِصف . وقلماً اخفّ من [illegible] الثلث . وقلماً متّصل الحروف ليس فيهِ شيء ينفصل عن غيرهِ سمّاه [illegible] . وقلماً سمّاه غبار الحَلبة وقلماً سمّاهُ خطّ المؤامرات . وقلماً سمّاه خطّ القصص . وقلماً مقترعاً سمّاه الحرانجي . (قال [illegible] ولا إتقان وكان حبيب [illegible] وكان وجه النعجة (كذا) مقدَّماً في الخط [illegible] محمد بن معدان (يعني المعروف بابي زَرْجان) مقدَّماً في خطّ النصف . وكان قلمهُ [illegible] الطاء والظاء والصاد والضاد [illegible] مثل ياء ويصل [illegible] وكل ياء من [illegible] يمينهِ بعرض النصف لا يُرى فيهِ اضطراب . وكان احمد [illegible] ن عفص المعروف بزاقف اجلّ الكتّاب خطّاً بالثلث وكان ابن الزيّات في أيام [illegible] وزير المعتصم [illegible] خطهُ ولا يكتب بين يديه غيرهُ . وانتهت رئاسة الخطّ بمصر [illegible] المحرّ [illegible] جودةً واحكاماً . قال النحّاس : وكان اهل مدينة السلام يحسدون [illegible] على

طبطب وابن عَبْدكان يعني كاتب الانشاء لابن طولون ويقولون: بمصر كاتب ومحرر ليس لامير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما

قلت ثمَّ انتهت جودة الخط وتحريره على راس الثلثمائة الى الوزير ابي علي محمد ابن مقلة واخيه ابي عبد الله قال صاحب اعانة المنشي: وولّدا طريقة اختراعها وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربوهما وتفرّد ابو عبد الله بالنسخ والوزير ابو علي بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف واجاد تحريرها وعنهُ انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها ولله درّ القائل:

سبق الدمعُ في المسير المطايا اذ روى من احبّ عنهُ بقلّه
واجاد السطور في صفحة الخــدّ ولم لا يجيد وهو ابن مُقلة

وقال الآخر: تسلسل دمعي فوق خدّيّ اسطرا ولا عجبٌ من ذاك وهو ابن مقلة

ثمَّ اخذ عن ابن مقلة محمد بن السمساني ومحمد بن اسد وعنهما اخذ الاستاذ ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب وهو الذي اكمل قواعد الخط وتمَّمها واخترع غالب الاقلام التي اسسها ابن مقلة ولمَّا مات رثاه بعضهم بقوله:

واستشعر الكتّابُ فقدك سالفاً فجرت بصحة ذلك الايّامُ
فلذاك سوِّدت الدويُّ وجوهها اسفاً عليك وشُقّت الاقلامُ

وممَّن اخذ عنهُ محمد بن عبد الملك ، واخذت الشيخة المحدّثة الكاتبة زينب الملقَّبة بشهدة ابنة الابري . وعنها اخذ امين الدين ياقوت . وعنهُ اخذ الوالي وعن محمَّد بن عبد الملك الجمعي وعليه كتب العفيف وعن العفيف اخذ ولده الشيخ عماد الدين . وقال انهُ كان كابن البواب في زمانه . وعن الشيخ عماد الدين بن العفيف اخذ الشيخ شمس الدين بن ابي رقيبة محتسب الفسطاط وهو ممَّن عاصرناه . واخذ عنهُ شيخنا شمس الدين محمد بن علي الزفاوي المكتب بالفسطاط (؟) وصنف مختصرًا في قلم الثلث مع ما اخذ ضمها عليه في صنعة الكتابة احسن فيه الصنيع وبه تخرّج صاحبنا الشيخ ... الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري محتسب مصر ونظم الفية وسمها بالعناية الربانية في الطريقة الشعبانيَّة لم يُسبق الى مثلها ثم توجه بعد ذلك الى مكة ثم الى اليمن والهند ثم عاد الى مكة فاقام بها ونبغ . قلت وقد عُلم ممَّا تقدَّم ذكرهُ ان القاب الاقلام من الثلثين والنصف والثلث وخفيف الثلث والمسلسل والغبار قديمة وان وقع في اذهان كثير من الناس انها من مخترعات ابن مقلة وابن البواب فمن بعدهما (ستأتي البقية)

شذرات

الملاحة في المستقبل — قال البشير : ان عبور البحر الاتلانتيكي في اربعة ايام اصبح في افتتاح القرن العشرين موضوع الامل عند ذوي الخبرة في البنايات البحرية واصحاب شركات البواخر التي تسافر ما بين اوربة واميركة

امَّا فريق المتفائلين فيقولون بانهُ من الامور الممكنة ولكنهُ يستلزم تغييرًا مهمًّا في البنايات البحرية مثال ذلك ان الباخرة « دوتشلاند » البالغة سرعتها ٢٣ عقدة اذا اردنا ايصال سرعتها الى ٣٠ عقدة يجب ان نودعها قوة محركة تعادل ٨٣ الف حصان مع ان قوتها الحالية هي ٢٣ الف حصان لا غير

وقد حسبوا ان اقامة مثل هذه الآلات الضخمة وتجهيزها بحاجاتها من الفحم يقتضي باخرة عظيمة لا يقل طولها عن ٩٣٠ قدمًا وحمولها عن ٤٠ الف طن ونفقتها من الفحم كل يوم عن قيمة مائة الف فرنك. فاذا تيسر للناس يومًا ان يحلُّوا هذه المعضلة امكن الراكب ان يسافر من ليفربول يوم الاربعاء من ستة الآلام فيصل الى نيويرك يوم عيد الفصح

قوة الباخرة دوتشلاند — انَّ الادوات البخارية التي في هذه السفينة كافية لترفع في ١٤ دقيقة من الزمن برج ايفل الى ٣٠٠ متر في الفضاء

تحسين الفونوغراف — لم ينسَ القرّاء ما كتبهُ المشرق (٢ : ١٠٨٣) في الفونوغراف : ومما ورد هناك انَّ للفونوغراف خنَّة كريهة يسعى العلماء في إزالتها. وقد افادتنا المجلات العلمية آخرًا ان المسيو بَتْره (Pattré) واخوتهُ تمكنوا من وضع آلة تمثل الاصوات البشرية من نطق وغناء ومعازف لا يشكُّ من يسمعها انَّها هي الاصلية تمامًا. وفونوغرافهم مبنيّ على المبادئ التي شرحناها الَّا انَّ الادوات التي يتركب منها اتمُّ صنعًا وادقُّ احكامًا لاسيما حاجز البلَّور المدوّن للصوت فانهُ آيةٌ في بابهِ اصطنعهُ اصحابهُ بعد الحسابات النظرية المدقَّقة والاختبارات العديدة وهكذا حُلَّ هذا المشكل الذي كان يصدُّ كثيرين من استعمال الفونوغراف لتدوين الاصوات. ومن خواصّ الحاجز المذكور انهُ يمكن تركيبهُ مع ايّ آلة فونوغرافية كانت فيحسّنها

قوس طيباريوس قيصر — هذا القوس كان من ابدع بنايات

رومية القديمة امر طيباريوس بتشييدهِ ذكرًا لانتصار جرمانيكوس ربيبهِ على الجرمانيين. وكان الدهر قد اخنى على هذا البناء فدرس آثارهُ. وقد اكتشف بقاياهُ في اوائل هذه السنة مديرو العاديّات في رومية. والعلماء يبنون على هـذا الاكتشاف آمالًا طيّبة لمعرفـة أحياء رومية في أيام القياصرة الاوّلين لانَّ هذا القوس كان قائمًا في احدى مراكز المدينة

-﴿ الحبر الاعظم والفنون ﴾- ألَّف تحت هـذا العنوان احد علماء الفرنسيس اسمهُ بويه داجان (Boyer d'Agen) كتابًا ذكر فيهِ ما للحبر الاعظم لاون الثالث عشر من الفضل في تعزيز الفنون كالنقش والتصوير. ووصف خصوصًا ترميمهُ لمعاهد بورجيا الشهيرة التي موقعها في الواتيكان وكانت هذه المعاهد في اواخر القرن الخامس عشر معدودةً كاحدى عجائب رومية لما فيها من الطرائف البديعة التي قام بعملها بيروجين بتّو (Pérugin Betto) احد ائمة المصوّرين قبـل رافائيل استدعاهُ البابا اسكندر السادس فقام بهذا العمل احسن قيام في مدَّة ١٣ سنة وخلد اسمهُ بهذا الاثر الجليل. الَّا انَّ هذه المعاهد كانت أُهملت منذ ثلاثة اجيال وبارت محاسنها الى ان جدَّدها الحبر الاعظم الحالي على اتمّ ما يُرام من الهندام فعادت اليوم الى بهائها القديم يتقاطر الناس الى زيارتهـا ويثنون على همَّة ذلك الشيخ الجليل الذي لا يفوتهُ شيء من الامور الشريفة

-﴿ المقتطف والجغرافية ﴾- قد احسن المقتطف اذ وصف في مقالتهِ المعنونة ضرر المطابع (ك ٢ ١٩٠١ ص ٥٢) ما ينجم من المضارّ بطبع بعض الكتب القديمة او تعريب التآليف الاجنبيَّة دون ان يشار الى ما فيها من السخائف والاغلاط (وقد استثنى الكاتب اليسوعيين من هذا الحكم فنشكرهُ على ثنائهِ). وكنَّا وددنا لو ابتدأ المقتطف وكحل عينيهِ بهذا الدواء في مقالة أُخرى ادرجها في العدد ذاتهِ (ص ٤١) عنوانها « الجغرافية عند المغاربة ». وما هذه النبذة سوى تعريب مقالة افرنسيَّة قديمة غير مستوفية فانَّ المعرّب لم يجترئ بانهُ دوَّن اغلاطها بل اضاف عليهـا اغلاطًا جديدة. فمن ذلك أنَّهُ روى اعلام كثير من المشاهـير على صورة يُرثى لها. واوّلها « كورتامير الشهير » (ص ٤١) الذي حاول تعريبهُ وهو يريد كورتمبر (Cortambert). وان راجعت الصفحة ٤٤ وجدت من ذلك عجائب فانهُ مسخ اسم بنيامين التودلي

(B. de Tudela) « بنيامين الطليطلي » . ورُويسبروك (Ruisbroeck) « برو بريكس » وبرَيتنباخ (Breitenbach) « بريدنباش » وبُردينونه (Pordenone) « بورتنو » . وبُلدِنساله (Boldensele) « بالدنسان . كما أنهُ صحَّف اسماء البلدان فجعل (ص ٥ ٤) بلاد القبجاق « كابشاك » والوادي الكبير « كاد الكفير » (ص ٤١) وهو من غرائب النقل أنسى تعريب « صلاح الدين » « بسلاديترس » . وكذلك جنوة عرَّبها (ص ٤٤) « جين »

امَّا الاغلاط الوضعيَّة فعديدة ايضًا نكتفي بذكر ما كتبهُ (ص ٤٢) عن « دليل انطونين المنسوب للامبراطور المعروف بهذا الاسم » مع انَّ انطونين صاحب الدليل عاش ٤٠٠ سنة بعد انطونين الامبراطور . وزد على ذلك ان كاتب هذه المقالة اهمل اشياء كثيرة جديرة بالاعتبار كنفيها . مادبا المكتشفة حديثًا وهي تنبئ بفوائد جغرافية عديدة . وكذلك لا ترى صاحب هذه المقالة يذكر من جغرافيي العرب غير الشريف الادريسيّ وقد سبق الادريسي قوم من المشاهير كياقوت والهمذاني وابن خرداذبه واليعقوبي وابن الفقيه والمسعودي والدمشقي وغيرهم لا يسع مجلة علميَّة مثل المقتطف ان تجهلهم او تضرب عنهم صفحًا

معنى عَقرقوف — في اثناء بحثي عن آثار عقرقوف كنتُ قد نقَّبتُ عن معنى هذه اللفظة ثمَّ سألتُ جماعةً معدودة من مشاهير علماء العاديات غير اني لم أفز بشيء راهن يُعبأ بهِ او يُنزَّل منزلةً جديرة بالذكر والاعتبار . هذا وقد رأيت صاحب مراصد الاطلاع يقول (راجع المشرق ٣ : ٨٦٧) : « عقرقوف وهو « عقر » أُضيف الى « قوف » فصار مركَّبًا » كانهُ يريد بذلك قصر الرجل المعروف باسم قوف . لان معنى عقر بالعربيَّة القصر او المتهدّم منهُ وهو يناسب حالة هذا البناء . امَّا قوف فلم يسمع بهِ اذ لم نجد في مطاوي تنقيرنا ملكًا او رجلًا عظيمًا تسمَّى بهذا الاسم . ولعلَّ الزمان يكشف لنا ذلك في المستقبل

امَّا الآن فيسوغ لنا في هذه التضاعيف ان نتبع رأيًا آخر فقد ذكر لي حضرة القس جبرائيل قرياقوزة في مباحثة جرت بيني وبينهُ ان عقرقوف آراميَّة الاصل ومعناها : « قواعد الاساطين » لان عقرا فيها « الاصل » و « القاعدة » لكل شيء و ܩܘܦܐ « السواري او العمد » ويشهد على صدق ذلك ان جماعة من السيَّاح الافرنج ذهبوا الى عقرقوف

قبل عقود من السنين فوجدوا ثمَّ تيجان عمدٍ وقواعد اساطين مختلفة الهيئة فحملوا منها الى بغداد ما شاؤوا. ومن عدادهم كان الاديب هنري زؤوبودا فنقل الى بيتهِ تاج عمود في منتهى اتقان الحفر والنحت. وعليهِ فيكون هذا الهيكل قديم العهد كما دلَّنا على ذلك قطع الآجرّ المكتوبة التي وُجدت عند قاعدة هذا الصرح الجليل. ثمَّ في أيَّام الآراميين وسطوتهم وانتشار لغتهم في هــذه الاصقاع قبل ظهور الاسلام لُقب بهذا الاسم امَّا جهلًا لاسمهِ الاصليّ وامَّا من باب شهرة علاماتهِ وفصولهِ التي تميّزهُ عن سائر الابنية كما هو معهود في العامَّة اذ يُسمّون الاشياء باسماء مميّزاتها كما في: « ذات ابواب وذات المنار وذات حجر » ونحوها والله اعلم

أسئلة وأجوبة

اقتراح

هذه اسئلة يقترحها العلامة الفاضل الشيخ شكري افندي الآلوسي على قرَّاء المشرق إن احبَّ كاتبٌ الجواب عنها افسحنا لهُ المجال في صفحات مجلَّتنا والَّا اجبنا نحن عليها

١ من الواضع لحروف الهجاء العربيـة على هذا الترتيب المعلوم اليوم بين الناس. ٢ ما سبب هذا الترتيب وعلّتهُ. ٣ ما سبب اهمال المهمل منها واعجام المعجم ولِمَ كانت العلامات كذلك ولم تعكس او لم يكن لها علائم آخر غيرها. ٤ ما اقسامها وصفاتها. ٥ ما سبب وضع هذه الاعلام لها وهل كانت متفقة الاواخر كما اتفق اوائلها بحيث تكون الاواخر كلهـا على منهج واحد ولِمَ اتفق البعض منها في ذلك واختلف البعض الآخر. ٦ هل هذا الترتيب متداول بين جميع الامم اولهم وآخرهم ام لا. ٧ ما سبب كتابة اشكالها في الخطّ على هـــذه الصورة المعلومة في الخط العربي أهو اصطلاح ام توقيف واذا قلنا بالاصطلاح فمن هو اول من اصطلح على ذلك. ٨ ما سبب اتحاد البعض منها في الشكل الخطّي مع تباعد المخرج واختلاف ذلك مع القرب فيهِ. ٩ ما سبب اختصاص كلّ حرف بشكلهِ. ١٠ ما سبب إزالة التباين بالنُقَط الثلاث. ١١ ما سبب اختلاف تلك النُقط

س سألنا من عجلتون جناب الشيخ بشاره الخازن. ١ أيصلح لحلّ الحرير ماء الآبار كماء البُرَك المعرَّض للشمس والهواء. وهل من فرق بين المائين. ٢ ما هي الطرائق النافعة لكرّ الحرير

الماء المناسب لحلّ الحرير — كرُّ الحرير

ج نجيب على (الاول) انَّ ماء الآبار يصلح لحلّ الحرير لانهُ يُحسن تحليـل مادَّتهُ الغروِيَّة (grès) لولا انَّ هـــذا الماء ينقصهُ شيء من الدقائق الآليَّة كالطحلب وغيرهِ التي من شأنها ان تلين الخيوط بازالتهــا ما في الماء من الموادّ الكلسيَّة. ووجود

هذه الدقائق في ماء البُرَك يجعلها اصلح لحلّ الحرير. لكن هذا الحال يسهلُ تلافيه بان يجعل شيء من هذه الآليّات في الآبار — نجيب على (الثاني) انَّ حسن كرّ الحرير متوقف على انتقاء الفيالج (الشرانق) وحذاقة العملة وسخونة الماء والمناسبة بين درجة حرارته في الآنية وسرعة حركة الدواليب لتمتدّ الخيوط امتدادًا تامًّا. ودرجة سخونة الماء تكون عادةً بين ٧٠ و ٨٠ درجة من ميزان السنتيغراد اما سرعة حركة الدواليب فبين ٨٠ و ١٢٠ دورة في الدقيقة

الاديب سليم افندي اصفر

س وسأل من عكا جرجس شاهين افندي عطية ان نفيدهُ ما نعرف عن سليمان بن الحسن النزّي

سليمان بن الحسن النزّي وديوانهُ

لدينا في مكتبتنا الشرقيَّة ثلاث نسخ مختلفة من ديوان هذا الشاعر وجدناها في بيروت وحلب والموصل. وهي تتضمَّن نحو ٢٠٠ قصيدة في موادّ دينيَّة شتى لكنَّنا حتى الآن لم نحصل على شيء من اخبار ناظمها. وغاية ما يستخلص من الديوان انَّ صاحبه كان نصرانيًّا من طائفة الروم. والمرجَّح انهُ كتب قبل ٣٠٠ سنة. ولم نجد لديوانهِ ذكرًا في مجموع المخطوطات الشرقيَّة في المكاتب الاوربيَّة

س وسأل الخوري جبرائيل زين مدير مدرسة عين القصير ما معنى آية لوقا (٢: ٢٣): كما كُتب في ناموس الرب انَّ كل ذكر فاتح رحمٍ يُدعى قدوس الرب » انطباق على كل بكر مولود في كل الامم كما يؤخذ من منطوقها ؟

شرح آية لوقا (٢٣.٢)

ج يؤخذ معنى آية لوقا من سفر الخروج (١٣: ٢) حيث ورد صريحًا ما نصُّهُ: « قدّس لي كلّ بكر كلّ فاتح رحمٍ من بني اسرائيل » فقولهُ « من بني اسرائيل » لا يُبقي شكًّا في الامر لانَّ لوقا اشار الى آية سفر الخروج (راجع سفر اللاويين ٢٧: ٢٦)

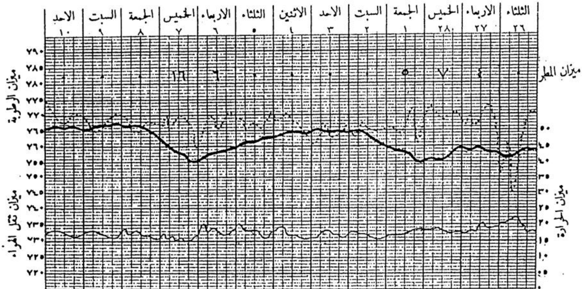
س وسأل جناب المعلم حنًّا يوسف الخوري: ما معنى كلمة « كاش » في لغة العامة وهل اصلها عربي ام هي كلمة اعجمية

شرح لفظة كاش

ج كنَّا وددنا لو زادنا السائل اين سمع هذه الكلمة وماذا يفهم بها العامَّة. فانهُ محتمل ان تكون « كَاش » تصحيف « كلا شيء » فيقال في بعض جهات لبنان « فلان من الناس الكلش » يريدون « من الاوباش ». ولعلها معرَّبة من التركيَّة « كَاش » بمعنى الاقرع فنقلوها للدلالة على السفلة —. وكَشّ في جهات اهدن يراد بها عمامة تعمّ بها نساء تلك الانحاء. ولا نعرف اصلها — وكَلَشَ يكلشُ يستعملها الباعة بمعنى غَرَف وأخذ الشيء جزافًا. ويُقال للنهم في الاكل كلش الرغيف كلشًا

ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٦ شباط الى ١٠ اذار ١٩٠١



انّ الخطّ الضخيم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات